



السحاب الأحمر



بأسفل

www.dvd4arab.com

ملف المستقبل • السحاب الأحمر • ٤٥ • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة

المؤلف



د. نيل فاروق

السحاب الأحمر

- ما سرّ لعنة تلك اللوحة المشنومة ، المعروفة باسم (السحاب الأحمر) ؟
- من البارون (ملقن) ، الذى انطلق شبحة يسفك الدماء بلا رحمة ؟
- ترى .. كيف يواجه (نور) ورفاقه شبحة قاتلاً ؟ .. وهل ستتلعهم لعنة (السحاب الأحمر) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة .. واشترك مع (نور) فى حل اللغز ..



الثمن فى مصر

وما يعادل دولاراً
أمريكياً فى سائر
الدول العربية
والعالم

العدد القادم: الكوكب الملعون

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
بمبنى جامعة القاهرة - القاهرة - ١١٥١٤٤

١ - الشبح القاتل ..

سطع البرق يشق السماء الملبدة بالغيوم كسهم من نار ،
وأضاء بسطوعه تلك المنطقة المنعزلة المقفرة ، على بعد
كيلومترات من منطقة (الفيوم) السياحية ، في لحة سريعة ،
وسط ذلك المطر المنهمر بغزارة ، في واحدة من أسوأ أمسيات
شهر يناير ، عام ألفين وثمانية بعد الميلاد .. وسقطت تلك
اللمحة السريعة من الضوء على شجرة قديمة متهالكة ، عارية
الأغصان ، ترتفع منفردة وسط منطقة جرداء ، يلوح من
مساحتها ، ومن ذلك السور القديم المتهدم حولها ، أنها كانت
يوماً ما حديقة غناء ، تصدر ذلك القصر القديم ، الذي يعود
طرازه إلى ما يزيد على ثلاثة أرباع قرن من الزمان ، والذي يبدو
على عكس الحديقة متاسكاً شامخاً ، وإن أصابت عوامل
التعرية والإهمال مظهره الخارجي ، فبدا كثيباً موحشاً ، يكاد
يختفي وسط ذلك الظلام الدامس ، الخيم على المنطقة ، حتى
لتستحيل رؤيته بعد غياب الشمس ، لولا تلك اللمحة السريعة
في ضوء البرق ..



سلوى



نور الدين



محمود



رمزي

ولم يكده ضوء البرق الخاطف يتلاشى ، حتى تلاشت معه
صورة القصر ، مع عودة الظلام الدامس ، وبدا المكان ساكناً ،
مهجوراً ، إلا من صوت المطر المنهمر ..

وعلى الرغم من هذا السكون الظاهري ، كانت هناك في
مكان ما داخل القصر ، صوت أقدام تعدو في دُعر وتوتر
بالغين ، عُبْر ممر طويل مظلم ، يبدو وكأنه لا نهاية له ..

كانت أقدام (سلوى) .. زوجة الرائد (نور الدين) ،
والعضو البارز في فريقه الخاص للتحريات العلمية ، وقد تملكها
رُعب هائل ، وهي تهتف باسم زوجها ، وتعدو في خوف
شديد ، محاولة الفرار من ذلك الموت الذي يزحف خلفها ..
وتمثل ذلك الموت في خطوات هادئة ، بطيئة ، تتبعها بلا
عجل ، وكأنما صاحبها واثق من ظفره بها ، مهما قاومت وجرت ..
وفجأة .. ارتطمت (سلوى) بباب خشبي عتيق ،
وصرخت من شدة رعبها ، حينما أيقنت أنها قد بلغت نهاية
الفرار ، فأخذت تصرخ في دُعر ، وهي تضرب الباب الخشبي
بقبضتها في قوة وخوف ، والأقدام البطيئة تقترب منها ،
وتقترب ، ويداها تبحثان عبثاً عن مقبض لذلك الباب الخشبي
المتشقق ..

والتمع البرق مرة أخرى في السماء ، وتسَلَّل ضوءه عُبْر شق
صغير في الباب الخشبي ، واستدارت عينا (سلوى) في الوقت
نفسه ، وشهقت في رُعب ، وهي تتطلع إلى العينين اللتين سقط
عليهما ضوء البرق ، فبدت فيهما أشع علامات الوحشية
والشراسة والبغض ..

لقد كانت تواجه قاتلها ..

ولم يكن مبعث رُعبها هو أنها تواجه قاتلاً ، وإنما لأن هذا
القاتل لم يكن بشرياً ..
لقد كان شبحاً ..
شبحاً قاتلاً ..

بدأ كل ذلك في اليوم السابق فقط ، حينما كانت الطبيعة
نفسها تختلف ، إذ كانت السماء صافية ، والشمس تشرق في
سطوع ، وتغمر مصر كلها بدفئتها ، الذي بدد بعضاً من برودة
يناير القارصة ، فبدأ الجو منعشاً جميلاً ، مما شجّع (نور)
و (سلوى) وابنتهما (نشوى) على تناول طعام الإفطار في
حديقة منزلهم ، والاسترخاء قليلاً تحت أشعة الشمس ، في ذلك
اليوم الذي تبدأ فيه إجازة (نور) وزوجته ..

كان كل شيء يبدو طريفًا هادئًا ، حتى عبر ذلك الرجل الشاحب الوجه ، النحيل ، باب الحديقة ، وهو يصطحب معه اضطرابه وتوتره ، اللذين بدوا شديدي الوضوح ، حتى أن (نور) عقد حاجبيه ، وقال دون أن يحرك ساكنًا :

— يبدو أننا سنستقبل ضيفًا مجهولًا يا (سلوى) .

أدارت (سلوى) عينيها إلى الرجل ، الذي يتقدم من مجلسهم في تردد عبر الحديقة ، ولم تستطع منع أو تفسير ذلك الشعور القوي بالقلق ، الذي اعترأها حين وقعت عيناها على ملامحه الحادة الممصوصة ، التي جعلته أشبه يشبح حائر ، ولكن ذلك لم يمنعها من النهوض مع زوجها ، ورسم ابتسامة مرحة على شفثيها ، حينما وصل إليهما الرجل ، ومدَّ يده المرتجفة يصافح (نور) ، وهو يقول في ارتباك :

— الرائد (نور الدين) .. أليس كذلك ؟

أجابته (نور) في هدوء :
— في خدمتك يا سيدي .

شعرت (سلوى) ببعض الضيق ، حينما تجاهلها الرجل تمامًا ، ولكن ضيقها لم يلبث أن تحوّل إلى شعور قوي بالشفقة ، حينما غمغم الرجل في لهجة نمت عن إرهاق وتوتر شديدين :

— هل تسمح لي بالجلوس ؟

هتف (نور) في حماس :

— بالطبع .. يمكنك اعتباره منزلك .. هل لك في قدح من الشاي ؟

رفع الرجل عينيه إليه في امتنان ، ثم أدار عينيه إلى (سلوى) ، مغمغمًا :

— معذرة يا سيدي .. لقد نسيت أن ..

قاطعته بابتسامة صافية ، وهي تقول في إشفاق وترحاب :
— لا عليك يا سيدي .. كيف تفضل تناول الشاي ؟
ويبدو أن ترحابها وترحاب زوجها قد بعثا في قلبه بعض الارتياح ، فابتسم ابتسامة شاحبة ، وهو يغمغم في خفوت :
— مركز مع قليل من السكر يا سيدي .

أخذت (سلوى) تصبُّ قدح الشاي ، في حين أحاط الصمت بالمجلس ، إلا من صوت (نشوى) ، وهي تتقافز في الحديقة في مرح طفولي ، غير آبهة بقُدوم هذا الضيف العجيب ، الذي تناول قدح الشاي من يدي (سلوى) ، وهو يغمغم بكلمات شكر غير مفهومة .. وأخذت (سلوى) مجلسها إلى جوار (نور) ، الذي ظل صامتًا ، يرقب الرجل في

هدوء ، وهو يرتشف رشفة من قدحه ، قبل أن يتنحى
الرجل ، ويرفع عينيه إلى (نور) ، ويغمغم في حذر :

— يقولون إنك أبرع أهل الأرض ، في مواجهة الألغاز
الغامضة ، وسر أغوارها .. فهل هذا صحيح أيها الرائد
(نور) ؟

أجابه (نور) في هدوء وهو يشبك أصابع كفيه أمام
وجهه :

— إننى رجل عادى ، أعمل فى مواجهة الألغاز العلمية
ياسيدى .

سأله الرجل فى لهفة :

— العلمية فقط ؟!

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب فى هدوء :

— فلنقل : الغامضة .

تنهد الرجل فى ارتياح ، وعاد يرتشف بعض الشاى من
قدحه ، قبل أن يقول :

— معذرة مرة أخرى ، فقد نسيت تقديم نفسى .. أنا

(نادر فريد) .. أقيم حاليًا فى قصر جدى (عبد العظيم باشا)
فى الفيوم و

قاطعه (نور) فى هدوء :

— حاليًا ؟!

ظهر الأسف على وجه (نادر) ، وغمغم :

— نعم .. وهذا هو سرّ قدومى إليك ياسيدى الرائد .

اعتدل (نور) بغتة ، وقال :

— لمّ لا نقتحم الموضوع مباشرة ياسيد (نادر) ؟

انتفض جسد (نادر) انتفاضة قوية ، حتى لقد كاد قدح

الشاى ينسكب فوق معطفه الأنيق ، فأمسك بطرف مقعده ،

وكأنما يحاول إيقاف ارتجافته ، قبل أن يزدرد لعابه فى قوة ،

ويقول :

— الموضوع هو أننى مهتد بالقتل أيها الرائد .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم فى خيرة :

— القتل ؟! .. ولماذا لم تذهب إلى الشرطة الجنائية ؟

وضع (نادر) قدح الشاى جانبًا ، دون أن يتمه ، وهو

يقول فى صوت خافت مضطرب :

— لأن الذى يهددنى بالقتل ليس رجلًا أيها الرائد .. إنه

بتر عبارته فجأة ، وتلفت حوله وهو ينكمش فى مقعده فى

خوف ، قبل أن يستطرد فى خفوت شديد :

— إنه شبح .

شهقت (سلوى) في دهشة ، واتسعت عينا (نور) في
تساؤل ، قبل أن يسأله في هدوء :

— وما الذى جعلك تظنّ هذا ياسيد (نادر) ؟

تردد (نادر) لحظة ، ثم اندفع يقول :

— سأقص عليك منذ البداية أيها الرائد ، وأرجو أن تستمع
إلىّ جيّدًا .. فلن يمكننى توضيح الأمر ، إلا إذا عُدت بالقصة
إلى ما قبل منتصف القرن العشرين ، وبالتحديد إلى عام ألف
وتسعمائة وأربعين .

ابتسم (نور) ، وهو يغمغم في هدوء :

— يا إلهى !! لا ريب إذن أنها قصة طويلة للغاية .

تجاهل (نادر) ملحوظة (نور) ، وأكمل حديثه قائلاً :

— فى ذلك الحين ، كان جدّى (رحمه الله) (عبد العظيم

باشا) ، واحداً من أبرز رجال المجتمع فى مصر ، ولكن الجانب

الأكبر من علاقاته كان يميل إلى الإنجليز ، الذين كانوا يحتلون

مصر فى ذلك الوقت .. ولقد كان جدّى مبهوراً بأرستقراطيتهم

وتعاملهم المتأنق ، حتى أنه أثث القصر الذى أقيم فيه الآن ،

على نفس النمط المستخدم فى المنازل الريفية الكبيرة فى

(إنجلترا) .. وكان يهوى تزويده دائماً بالتحف واللوحات ،

شأن الطبقة الأرستقراطية فى (بريطانيا) .. وذات يوم عثر

جدّى فى أحد المزادات على لوحة عجيبة ، أقل ما يمكن أن

توصف به هو أنها بشعة ، على الرغم من خطوطها الأنيقة ، التى

تؤكد براعة الفنان الذى خطّها بريشته ، ولسبب ما ، عجزنا

جميعاً عن تفسيره فى أيامنا هذه ، ابتاع جدّى اللوحة .. واختار

لها أبرز ركن فى مكتبه ، على الرغم من كل ذلك الضيق

والخوف ، الذين كانت تبعثه اللوحة فى نفس كل من يراها .

بتر (نادر) حديثه ، ليزدرد أعابه فى صوت مسموع ، ثم

استطرد :

— وبعد سبع سنوات ، احتلت فيها اللوحة ذلك المكان ،

زاره صديق له ، من لوردات الإنجليز ، ولم يكده يرمى اللوحة ،

حتى شحب وجهه ، وأصابه الدعر ، واستنكر كثيراً أن يحتفظ

بها جدّى ، وقال إن هذه اللوحة تاريخاً مخيفاً ، يتمثل فى مصرع

كل من يمتلكها فى ظروف غامضة ، أو مصرع من يحيطون به ،

وطالب جدّى بالتخلص منها .. ولكن جدّى سخر من حديث

صديقه ، وأصرّ على الاحتفاظ باللوحة ، على الرغم من توسّلات

صديقه وتحذيره ..

بدأت القصة مثيرة للاهتمام ، حتى أن (نور) و (سلوى)
أصبحا يصغيان إلى قصة (نادر) في شغف شديد ، في حين
تابع هو بنفس الصوت المضطرب :
— وفي الصباح التالي عثرنا على جَدَى قتيلاً في حجرة
مكتبه .

غمغمت (سلوى) في توثر :

— قتيلاً ؟!

أوماً (نادر) برأسه إيجاباً ، وواصل قصته :

— ولقد بذل رجال الشرطة في ذلك الحين جهداً خرافياً ،
لحل غموض حادث مصرع جَدَى ، نظراً لكونه شخصية
اجتماعية هامة ، ولكن جهودهم ذهبت هباءً ، وعلى الرغم
منهم ، قُيِّد الحادث ضد مجهول ..

ساد الصمت لحظات ، ظهر فيها الأسف على وجه
(نادر) ، قبل أن يستطرد :

— ولسبب ما ، ظلّ والدي يحتفظ بنفس اللوحة المشنومة ،
بعد مصرع جَدَى ، وإن لم يستخدم حجرة مكتبه طيلة ثلاثين
عاماً ، حتى كان يوم الذكرى الثلاثين لمصرع جَدَى ، وقضى أبى
بعض الوقت في حجرة المكتب ، ثم سمعت أمى ، وسمع الخدم

صوت صرخة رعب قوية ، أسرعوا إثرها إلى حجرة المكتب ،
واقترحوها ، ليجدوا أبى فيها جثة هامدة ..

اعتدل (نور) ، وهو يسأله في اهتمام :

— وهل تخلّصت أنت من اللوحة بعد ذلك ؟

هزّ (نادر) رأسه في أسف ، وقال :

— لقد كنت في الثالثة من عمري حينما لقي أبى مصرعه ،

ولقد غادرت أمى القصر بعدها ، وأصرت على العيش في

القاهرة ، وأهمل القصر تماماً ، ولم أذهب إليه أبداً طوال الثلاثين

عاماً الماضية .. فقد أتممت دراستي في القاهرة ، وسافرت

بعدها إلى (إيطاليا) لاستكمال دراساتي ، وتوفيت أمى ، ولم

يعدّ هناك ما يربطني بمصر كلها .. ولقد كنت قد بدأت أشقى

طريقي بنجاح في (روما) ، ولكن

توقف (نادر) عند كلمة (ولكن) ، وتضاعف اضطرابه ،

مما جعل (سلوى) تسأله في لهفة لم تستطع كتمانها :

— ماذا حدث بعد ذلك يا سيّد (نادر) ؟

لوح (نادر) بذراعه في يأس ، وقال :

— فجأة .. شعرت برغبة قوية في العودة إلى مصر ، وإلى

(الفيوم) بالذات ، حيث يوجد القصر .. ووجدت نفسى

فجأة ، وبلا مبرر واضح أصفى كل أعمالى فى (روما) ،
وأهرع إلى القصر .. ولم أكد أستقر فيه حتى انتبهت فجأة إلى
نقطة أثارت فى قلبى كل الرعب .

وارتجف صوته ، وهو يغمغم :

— لقد حضرت لألقى حتى ، فى نفس الموعد الذى لقى

فيه أبى وجدى مصرعيهما .

مال (نور) وهو يسأله فى اهتمام :

— نفس الموعد؟!!

ازداد ارتجاف صوت (نادر) ، وهو يجيب ..

— نعم أيها الرائد .. فالיום السادس من يناير ، تحين

الذكرى الثلاثون لمصرع أبى ، والستون لمصرع جدى .. وأنا

واثق من أنها ستكون ليلة مصرعى .

عقد (نور) حاجبيه فى شدة ، وهو يتفردس فى ملامح

(نادر) فى اهتمام ، ثم سأله فى هدوء :

— ولكن ماذا تمثل هذه اللوحة الملعونة ياسيد (نادر)؟

كان صوت (نادر) شديد الخفوت ، عظيم الاضطراب ،

وهو يجيب :

— إنها صورة الشبح ياسيدى الرائد .. صورة الشبح القاتل .

* * *

٢ — ريشة مجنون ..

— « ما رأيك يا (رمزى) ؟ » ..

نطق (نور) هذه العبارة فى صوت هادئ ، إلا أنه لم ينجح

فى منع تلك القشعريرة ، التى سرت فى أجساد (سلوى) ،

و (رمزى) ، و (محمود) ، وهم يتطلعون إلى اللوحة المعلقة فى

مكتب (عبد العظيم باشا) ..

كانت اللوحة شديدة البشاعة حقاً ، حتى أن المرء يتساءل

كثيراً عن سرّ احتفاظ الأسرة بها طيلة هذه السنوات ..

كانت عبارة عن رجل يقف وسط صحراء جرداء ،

الصحراء منبسطة ممتدة ، برمالها الصفراء ، وتناثر فوقها جماجم

بشرية ، ملقاة فى غير تناسق ، والرجل يرتدى زياً يعود إلى القرن

السابع عشر فى أوربا الوسطى ، ويقف هادئاً ، مستنداً إلى

مقبض سيفه الرفيع ، الذى تستقر ذبابته فوق الرمال ، وعيناه

تحدقان فى وجه المتطلع إلى اللوحة على نحو مخيف ..

هو مزيج من الوحشية ، والكراهية ، والشراسة ، وكأنه

يحمل الموت فى أعماقه ، أمّا السماء خلفه ، فقد كانت أكثر

بشاعة في عينيه .. كانت ملبدة بغيوم كثيفة ، يتوسطها بعض
السحاب الأحمر ، الذي يبدو للناظر وكأنه جرح دام في كبد
السماء ، تسيل منه الدماء في غزارة ، ولقد أبدعت ريشة
صانعيها : حتى ليخيّل إلى المتأمل أن قطرات الدم الأحمر
ستسقط من إطار اللوحة ، لتلوث أرض المكتب أسفلها ..

وعاد (نور) يكرّر سؤاله في هدوء :

— ما رأيك يا (رمزي) ؟

أدار إليه (رمزي) عينيه ، وغمغم في انفعال :

— رأي أن (عبدالعظيم باشا) كان رجلاً سادياً* ، يلدّ
له رؤية الفزع في عيون زائريه ، حينما يتأملون لوحته
البشعة .

ظهر الضيق على وجه (نادر) ، الذي يتابع الحوار
في صمت ، في حين عاد (نور) يسأل (رمزي) في
اهتمام :

— وماذا عن الشخص الذي رسم اللوحة ؟

(*) السادية : مرض نفسي يميل المصاب به إلى تعذيب الآخرين ،
ويعود الاسم إلى المركز (دي صاد) ، الذي كان يتلذذ بتعذيب ضحاياه
قبل قتلهم .



لم ينجح في منع تلك القشعريرة ، التي سرت في أجساد (سلوى) ،
(رمزي) ، و (محمود) وهم يتطلعون إلى اللوحة المعلقة ..

هتف (رمزي) في سخط :

— إنه مجنون ولا شك ، وربما كان مصابًا بالسادية أيضًا ،

حتى قرسم ريشته مثل هذا المشهد البشع .

تدخل (نادر) ، قائلاً في هدوء :

— يقال إن أحدًا لم يرسمها ياسيد (رمزي) .

عقد (رمزي) حاجبيه ، وهو يقول :

— أي قول أحق هذا ؟

التفت عيون أفراد الفريق عند وجه (نادر) ، الذي بدا

غاضبًا ، وهو يقول :

— قول أحق؟! .. حسنًا يادكتور (رمزي) .. استمع

أولًا إلى الأسطورة التي تدور حول لوحة (السحاب الأحمر)

هذه ، قبل أن تسرع بقول خاطئ .

ثم لَوَّح بذراعيه ، وهو يستطرد في انفعال :

— الشخص الذي تراه في الصورة هو البارون (ملقن) ..

واحد من أبشع أهل الأرض ، في عصور (أوربا) الوسطى ..

كان يملك مقاطعة صغيرة في (فرنسا) ، ارتكب فيها من

الموبقات ما جعل (دي صاد) نفسه يبدو بالنسبة إليه مجرد

طفل ساذج ، حتى وصلت ثورة أهل مقاطعته إلى ذروتها ، حينما

احتفل بعيد ميلاده الثلاثين بقتل طفل صغير ، في عملية صيد

وحشية .. وهنا هاجم أهل المقاطعة قصره ، واقتحموه في

غضب جارف ، وبخثوا في كل شبر منه عن البارون (ملقن) ،

الذي بدا وكأنه قد تبخر ، أو تلاشى .. وعثروا في أقبية قصره

على عشرات الضحايا ، الذين سفك البارون ذمائمهم بلا

رحمة .. وبعد أن أعياهم البحث ، عثروا في حجرته على هذه

اللوحة ، التي أطلقوا عليها اسم (السحاب الأحمر) ، والتي

أكد البعض أنها البارون نفسه ، بعد أن حوّل جسده بواسطة

السحر إلى صورة مرسومة .

هتفت (سلوى) في استنكار :

— وهل تصدق هذه الخزعبلات ؟

حدجها (نادر) بنظرة باردة ، واستطرد دون أن يهتم

بإجابة عبارتها الاعتراضية :

— وأثارت هذه الأسطورة سخرية البعض ، واستنكار

البعض الآخر ، والعديد من الجدل ، إلا أن هذا لم يمنع أحد

اللوردات الإنجليز من شرائها ، حيث لقي مصرعه بعد ثلاثين

عامًا على نحو غامض ، وتبعه مصرع كل من امتلك اللوحة ،

حتى والدي ، وما قد جاء دُورى .

تنهّد (نادر) ، وقال .

— لسنا هنا لمناقشة صحة الأسطورة أيها السادة ، وإنما هنا لمحاولة منع مصرعى .. وطبقًا للأسطورة ، ستكون أمامي ثلاثون عامًا أخرى ، لو مرّت هذه الليلة في سلام .

اندفع (محمود) يسأله فجأة :

— ولم لا تغادر القصر هذه الليلة ، فينتهي كل شيء ؟

ارتجف جسد (نادر) ، وشحب وجهه ، وهو يغمغم :

— لا أستطيع يا سيّد (محمود) .. لقد حاولت ، ولكن

قوة رهيبة تجبرني على البقاء .

تبادل أفراد الفريق نظرات قلقة ، ملؤها الخوف ، في حين

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

— سنبقى جميعًا يا سيّد (نادر) .

ثم أردف في حزم :

— سنتحدّى أسطورة الشبح القاتل ، التي صنعتها ريشة

مجنون .

ساد الصمت لحظات ، ثم غمغم (محمود) في خفوت :

— لست أصدّق هذه القصة .

لوح (نادر) بذراعه ، وهو يقول في حنق :

— إنها ليست قصّتي يا سيّد (محمود) .. إنها قصّة

تداولتها صحف القيديو في كل (أوربا) و

قاطعه (نور) في هدوء :

— هذا صحيح .

التفت إليه الجميع في دهشة ، فأشار إلى اللوحة مستطرّدًا :

— لقد زوّدتني كمبيوتر المعلومات بكل ما كتّب عن لوحة

(السحاب الأحمر) هذه يارفاق ، وهو يطابق تمامًا ما ذكره

الأستاذ (نادر) ، فيما عدا أن اللوحة قد اختفت ، ولم تظهر

للوجود منذ الربع الأول للقرن العشرين .. وأعتقد أن الباحثين لم

يعلموا أنها تستقر هنا منذ عام ألف وتسعمائة وأربعين .

هتفت (سلوى) وهي تشير إلى اللوحة :

— هل تعنى أن قصة الشبح القاتل هذه حقيقية ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— إننى لم أقل ذلك يا (سلوى) .. كل ما قلته إن

الأسطورة معروفة بالفعل ، وهذا لا يعنى أبدًا أنها حقيقية .

٣ - منتصف الليل ..

شارفت الشمس المغيب ، وبدأت تلقي بظلال مفرعة ،
حول القصر القديم ، في حين بدأت السحب تتجمع في الأفق ،
منذرة بجزر ممطر عاصف ، وازدادت برودة الجو ، فغمغمت
(سلوى) في صوت مرتجف :

— يبدو أننا سنقضي ليلة مقبضة .

لم يكن صوت (نادر) أقل ارتجافاً منها ، وهو يقول :

— سأبذل أقصى جهدي لتحويلها إلى ليلة مريحة
ياسيدتي .

ثم نقل بصره بين أفراد الفريق ، وهو يردف في تردد :

— لقد دعوت ثلاثة من أصدقاء والدي القدامى ، لقضاء

السهرة معنا ، حتى يبدو الأمر وكأننا نحتفل بعودتي إلى القصر .

تبادل أفراد الفريق نظرات الدهشة ، في حين عقد (نور)

حاجبيه ، وهو يقول :

— من أصدقاء والدك القدامى ؟

أوماً (نادر) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم ياسيد (نور) .. لقد دعوت (صبرى) طيب
والدى الخاص ، و (فكرى) وكيل أعماله القديم ،
و (درويش) مشرف زراعته ، وثلاثتهم في الستين من عمرهم
تقريباً ، ولقد كانوا أقرب الناس إلى أبى (رحمه الله) .

مطً (نور) شففيه ، وقال :

— لست أدري ما إذا كان ذلك خطوة صحيحة أم لا
ياسيد (نادر) .. ولكن سبق السيف العزل ، لن يمكننا
التراجع الآن .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى توقفت سيارة قديمة أمام القصر ،
من ذلك النوع القديم ، الذى ما زال يستخدم الوقود السائل ،
وهبط منها ثلاثة كهول ، أسرع (نادر) يستقبلهم في حرارة ،
وقدمهم إلى أفراد الفريق في ترحاب واضح ، في حين اهتمت
عينا (نور) الفاحصتان بتفرسهم جيداً ..

كان الدكتور (صبرى) مرحاً بسيطاً ، تملأ شففيه باستمرار
ابتسامة صافية جذابة ، وكادت حيويته تبدو كأنها هو أصغر من
عمره بعشر سنوات على الأقل .. أما (فكرى) فقد بدا على
العكس أكثر كهولة ، بشعره الأشيب ، وحاجبيه الكثيفين

المعقودين في حنق لا مبرر له .. في حين بدا (درويش) متحفظاً
رصيناً ، لا يميل إلى التَّبَسُّط مثل الدكتور (صبرى) ..
ومرَّ الوقت بطيئاً ثقيلًا ، على الرغم من حديث الدكتور
(صبرى) الشيق ، وهو يقصّ على الحاضرين ذكريات شبابه
مع والد (نادر) ، ودعابتهما معًا ، وتلك المقالب المنمّقة ،
التي كانا يتبادلانها في روح مرحة صافية ، على الرغم من
تجاوزهما الثلاثينيات من العمر .. ولقد استمع إليه الجميع في
بعض الاهتمام ، عدا (فكرى) الذى بدا متبرِّمًا طيلة الوقت ..
و (درويش) الذى اكتفى بابتسامة متحفظة بين حين
 وآخر .. أما (نادر) فقد تعلّق بصره طيلة الوقت بالساعة
الكبيرة ، التي تزين حائط بهو القصر الواسع ، وكأنما ينتظر
تلك اللحظة التي يلتقى فيها عقربا الساعة عند أعلاها تمامًا ،
معلنة منتصف الليل تمامًا ، حيث ينتهى يوم السادس من يناير ،
ويبدأ اليوم السابع ، وتنتهى الليلة بسلام ..
(نور) أيضًا كان يشاركه ذلك الاهتمام بمرور الوقت ، وإن
لم يمنعه هذا من متابعة أحاديث رفاقه ، وتعليقاتهم على قصص
الدكتور (صبرى) المرحة ، حتى رأى (نادر) يقبض على
مسند مقعده في قوة ، ويلهث في انفعال ، وهو يتطلّع إلى عقرب
الدقائق الذى يتحرّك في ببطء نحو منتصف الليل ..

لم يكن باقياً من ليلة الخطر سوى خمس دقائق فقط ..
وفجأة .. قفز (نادر) من مقعده ، وأطلق ضحكة مرحة
مفاجئة ، أدهشت الجميع ، وهو يشير إلى الساعة الكبيرة ،
صائحاً في انفعال :

— ها هو ذا يوم جديد ينقضى من أيام يناير أيها السادة ..
انظروا إلى عقارب الساعة ، ها هي ذى تقترب من منتصف
الليل .. لم يعد باقياً سوى دقيقتين .

كان من الواضح أن سعادته بنجاته قد ألهمت مرحة
وحماسة ، ولكن مظهره بدا عجيّباً ، وهو يندفع إلى حيث
تستقر الساعة ، هاتفاً في فرح :

— دقيقتان وينتهى كل شيء .. ما أجمل الحياة !!

ارتسمت ابتسامة مرحة على شفתי الدكتور (صبرى) ،
وحدّق (درويش) فيما يحدث بدهشة ، في حين عقد
(فكرى) حاجبيه في ضيق ، وقال (نور) في حزم :

— دَعْنَا ننتظر حتى

مفاجأة قوية منعت (نور) من إتمام عبارته ..
لقد قُطِعَت الأضواء فجأة ، وساد الظلام التام ، مقترناً
بصرخة دُعر من بين شفתי (سلوى) ، وشهقة قوية من حنجرة
(نادر) ، الذى أعقبها بهتاف مرتعد :

— كلاً .. كلاً .. ليس الآن .. ليس قبل النهاية بدقيقتين .
صاح (نور) في حزم :

— ابقى في مكانك يا (نادر) .. لا تتحرك حتى أصل
إليك و....

مرة أخرى بتر (نور) عبارته ، حينما ارتفع صوت خطوات
بطيئة ثقيلة ، تشق طريقها في تتابع مخيف عبر البهو الضخم ،
وصرخ (نادر) في رعب هائل :

— كلاً .. ابتعد عني .. ابتعد عني .

وسمع الجميع صوت أقدامه وهو يعدو في دُعر ، مغادراً
البهو ؛ وساد الهرج والمرج ، وأخذ (نور) ورفاقه ، والضيوف
الثلاثة يتحركون في عصبية ، والدكتور (صبرى) يهتف باحثاً
عن مصدر للضوء ، و (سلوى) تلتصق بـ (نور) في دُعر ..
وفجأة .. انطلقت صرخة جمّدت الدم في عروقهم ..
صرخة تحمل صوت (نادر) مفعماً برعب هائل عظيم ..
ولم يكده صوت الصرخة يتلاشى ، حتى عادت الأضواء دفعة
واحدة ، وارتفعت دقائق الساعة تعلن منتصف الليل تماماً ..

كان (نور) أول من تغلب على ذهوله ، واندفع يفحص
المكان في اهتمام ولهفة ، في حين ظلّ الباقيون جامدين ، وفقد
الدكتور (صبرى) مرحة تماماً ، وهو يغمغم في شحوب :

— يا إلهي !! .. لقد .. لقد اختفى !!

هتف (نور) فجأة :

— إنه لم يذهب بعيداً .. انظروا .

أدار الجميع عيونهم إلى حيث أشار (نور) ، ورأوا بقعة
صغيرة من الدم ، تلوث أرضية البهو ، فشبهت (سلوى) في
دُعر ، وهي تقول :

— يا إلهي !! .. هل قتله الشبح ؟

عقد (نور) حاجبيه ، قائلاً في صرامة :

— أنا واثق من أنه لم يذهب بعيداً .

هتف الدكتور (صبرى) في خيرة :

— ولكن البهو لا يقود إلا إلى حجرة المكتب ، والسلم

الذى يوصل إلى الطابق العلوى حيث حجرات النوم .

تبادل (نور) نظرة قلقة مع رفاقه ، ثم غمغم (رمزى) في

توثر :

— حجرة المكتب !؟

وازداد انعقاد حاجبي (فكرى) ، حينما رأى (نور)
وفريقه يسرعون إلى حجرة المكتب ، في حين غمغم (درويش)
في خوف :

— ماذا يحدث هنا !؟

وكانت حجرة المكتب خالية تمامًا ، حينما وصل إليها
(نور) ورفاقه ، وهتف (محمود) :
— حمدًا لله .. لقد توقّعت أن نجد جثته هنا .

قال (نور) في حدة :

— كان ذلك سيصدمني في الواقع .

وفجأة .. أطلقت (سلوى) شهقة قوية ، تنم عن ذعر
هائل ، فالتفت إليها (نور) ، هاتفاً في توتر :

— ماذا حدث ؟

اتسعت عينا (سلوى) في رعب ، وهي تقول في صوت مختق :

— اللوحة !

التفت الجميع في حركة حادة إلى حيث تعلقت لوحة
(السحاب الأحمر) ، ولم يلبث الرعب أن ملأ أعماقهم حتى
النخاع .. فقد كان هناك خيط من الدم يلوّث السحاب
الأحمر ، ويسيل عبر اللوحة ، ليعبر إطارها ، وتتساقط قطراته

الحمراء القانية على الأرض أسفلها ، أما اللوحة نفسها فقد
كانت أكثر مُدعاة للرعب ، إذ كانت تبدو بها الصحراء
والسماء والجماجم البشرية والسحاب الأحمر ، ولكنها تفتقر
إلى تفصيل هام ..

لم يكن باللوحة أدنى أثر لصورة البارون (ملقن) ..
الشبح القاتل ..



٤ - الرُّعب ..

— «إنها مزحة سخيفة ! .. مزحة سخيفة ولا شك !» ..
غمغم (محمود) بهذه العبارة في دُعر ، وهو يحدّق في اللوحة
الدائمة ، وبدت له غمغمته الخافتة كدوى البرق ، وسط
السكون الذى خيم على الحجرة ، والذى عاد يتخذ موقع
الصدارة بعد أن انتهى من عبارته ، أضاء البرق فجأة ، وأعقبه
قصف الرعد ، فانتزع الجميع من ذهولهم ، وهتف (نور) :
— بل هى خدعة يا (محمود) .. لا ريب أنها كذلك ..
وأسرع إلى اللوحة يتحسّس خيط الدماء اللّزج ، ثم لم يلبث
أن عقد حاجبيه ، مغممًا في خيرة :

— إنها دماء حقيقية ، ومازالت دافئة ..

وصل الدكتور (صبرى) و (درويش) فى هذه اللحظة
إلى حجرة المكتب ، وعاد (درويش) يغمغم فى خوف :

— ماذا يحدث هنا بالله عليكم ؟ .. أين الأستاذ (نادر) ؟

أجابه (نور) فى عصبية واضحة :



وأسرع إلى اللوحة يتحسّس خيط الدماء اللّزج ،

ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ..

— هذا ما نبحت عنه يا سيّد (درويش) .

هتف الدكتور (صبرى) فى هذه اللحظة :

— يا إلهى !! .. اللوحة المشثومة !! .. إنها

قاطعته (نور) فى صرامة :

— دَع اللوحة لما بعد يا سيّدى ، ولنواصل بحثنا أولاً عن

(نادر) .

نقل الدكتور (صبرى) بصره فى شحوب ، بين وجهه

(نور) ، واللوحة الدامية ، ثم غمغم فى توثر :

— ما دام ليس هنا ، فهو إما فى الطابق العلوى ، أو

المطابخ .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

— سنبدأ البحث فى المطابخ أولاً ، ما دامت فى نفس

الطابق .

هتف الدكتور (صبرى) :

— وسأبحث أنا فى حجرات النوم .

فى حين عاد (درويش) يغمغم فى صوت أقرب إلى البكاء :

— ماذا يحدث هنا بالله عليكم ؟

تلّفت (نور) حوله ، وقال فجأة :

— أين السيّد (فكرى) ؟

أشار الدكتور (صبرى) إلى خارج حجرة المكتب ، وهو يقول :

— إنه يجلس فى الخارج .. لقد أصابه الرعب ، حتى أنه لم

يتحرك من مكانه .

أسرع (نور) إلى خارج الحجرة ، وألقى نظرة على

(فكرى) ، الذى جلس فى مقعده يلهث فى قوة ، وسأله فى جدّة :

— ماذا بك يا سيّد (فكرى) ؟

اتسعت عينا (فكرى) ، وهو يقول :

— إنه الانفعال أيها الرائد .. إن قلبى الكهل لم يعد يحتمل .

خدّجه (نور) بنظرة متشكّكة ، قطعها صوت الدكتور

(صبرى) ، وهو يقول فى حماس :

— سأبحث فى حجرات الطابق العلوى .

تركه (نور) يصعد فى درجات السلم فى سرعة ، وقال لرفاقه :

— هيا بنا يارفاق ، سنبحث فى المطابخ ، وسينتظرنا

السيّدان (فكرى) و (درويش) هنا .. فلن نترك بقعة

خالية ، حتى نعثر على تفسير لما حدث .

لُوح (محمود) بذراعه ، وهو يغمغم فى توثر :

— المطابخ كلها خالية يا (نور) .

وقالت (سلوى) :

— نور .. إننى أرتجف من فرط خوفى ، ويخيّل إليّ أن شبخ البارون (ملفن) يحوم حولى أينما ذهبت .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— أنت تعلمين أننى لا أومن بظاهرة الأشباح هذه

يا (سلوى) ..

سأله (رمزى) فى قلق :

— ما تفسير كل ذلك إذن يا (نور) ؟

سأله (نور) فى عصبية :

— ماذا تقصد بعبارة (كل ذلك) يا (رمزى) ؟ .. إننا لم

نشاهد شيئاً بعد .

تبادل (رمزى) و (محمود) و (سلوى) نظرات الدهشة ،

وعاد (رمزى) يغمغم :

— واللوحة التى ؟

قاطعته (نور) فى حدة :

— ومن أدراك أن تلك اللوحة التى تسيل منها الدماء ،

هى نفس اللوحة التى رأينا فيها صورة البارون (ملفن) ؟ ..

أليس من المحتمل أن أحدهم أبدل اللوحة ، ليبت فى قلوبنا

الرعب ؟

هزّ (رمزى) كتفيه ، وقال :

— هذا محتمل .. ولكن كيف تفسّر اختفاء (نادر) ؟

لروح (نور) بكفه ، وهو يقول :

— من أدراك أيضاً أنه لم يختف بمحض إرادته ؟

اتسعت عينا (سلوى) ، وهى تقول :

— هذا يعنى أنه المسئول عن كل

وقبل أن تتم عبارتها ، ارتفع صوت الدكتور (صبرى) ،

يهتف فى دُعر :

— لقد وجدته .. النجدة .. النجدة .. لقد وجدته .

انطلق الجميع يعدّون إلى الطابق العلوى ، حيث انطلقت

صرخة الدكتور (صبرى) ، وتبعهم (فكرى) و (درويش) فى

دُعر ، ولم يلبث الجميع أن وصلوا إلى حجرة نوم (نادر) ،

حيث تسمّروا فى دهشة ، أمام مشهد جثته التى ترقد فوق

سريره ، وبقعة الدم التى تلوّث صدره ، والدكتور (صبرى)

الذى يضع غطاء الفراش على جسده ، وهو يقول فى صوت باك :

— لقد وصلنا متأخرين أيها السادة .. لقد لقي السيد

(نادر) مصرعه .. قُتل ينصل سيف رفيع ، اخترق قلبه ومزّقه

تماماً .

٥ - قصر الغموض ..

أخذ (نور) يتحرك في أرجاء البهو الواسع في عصبية واضحة ، والجميع يتابعونه بأبصارهم في قلق .. حتى توقّف بغتة ، وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يقول :

— هذا مستحيل !!

ثم التفت إلى (صبرى) و (فكرى) و (درويش) ، وسألهم في صرامة :

— ما معلوماتكم عن تلك اللوحة البشعة في مكتب القصر أيها السادة ؟

هتف (درويش) في انهيار :

— لست أدري عنها شيئاً أيها الرائد .. أقسم لك .

في حين عقد (فكرى) حاجبيه ، وهو يقول في حنق :

— لقد كان والد (نادر) وجده مصابين بالخبل ، حتى

يصرّاً على الاحتفاظ بهذه اللوحة البشعة .

أما الدكتور (صبرى) ، فقال في ألم :

— لقد حدّرت والد (نادر) من مغبة الاحتفاظ بهذه اللوحة المشنومة ، ولكنه رفض الاستماع لنصيحتى ، وها هو ذا ولده يدفع الثمن ، بعد أن ذهب هو ضحية ذلك .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يواجه الدكتور (صبرى) ، قائلاً :

— هل تؤمن بذلك حقاً يا سيدي ؟

هتف الدكتور (صبرى) :

— بكل تأكيد أيها الرائد .

ساد الصمت لحظات ، ثم قال (نور) في لهجة بذل جهداً خارقاً لجعلها تبدو شديدة الهدوء :

— حسناً أيها السادة ، سنذهب جميعاً لرؤية اللوحة ، وليخبرنى كل منكم متى رآها هكذا لآخر مرة ...

تبعه الجميع إلى حجرة المكتب ، ولم يكذ الدكتور (صبرى) يدخلها ، حتى تراجع في ذعر ، وهو يشير إلى اللوحة ، هاتفاً :

— يا إلهى !! .. انظروا !!

وشهقت (سلوى) بدورها ، وارتجف جسداً (رمزى)

و (محمود) ، وانعقد حاجبا (فكرى) فى شدة ، وشحب
وجه (درويش) ، وغمغم (نور) فى سخط :

— أى هراء هذا ؟

فقد كانت صورة البارون (ملقن) قد أعيدت إلى اللوحة ،
وهو يحدّق فى وجوه المطلعين إليها بنفس النظرة التى تحمل
الوحشية والشراسة والبغض ، ولكن ذبابة سيفه لم تكن تستند
إلى سطح رمال الصحراء فى هذه المرّة ، وإنما كانت تنغرس فى
جزء جديد أضيف إلى المشهد ، بألوان لا تقل براعة عن ألوان
اللوحة ..

فى رأس (نادر) ..

بلغ رعب الحاضرين مبلغه ، وهم يحدّقون فى لوحة
(السحاب الأحمر) ، وتناقلت الحروف على ألسنتهم فلم ينطق
أحدهم ببيت شقّة ، حتى هتف الدكتور (صبرى) فى رعب :
— لقد احتوى الشبح جسد (نادر) فى عالمه .. لقد
اختطف جسده .

صاح (نور) فى جدّة :

— كفى ترديداً لتلك الخزعبلات أيها الطيب .. إن جثة
(نادر) تستقر مسلوية الروح فى الطابق العلوى .

ارتجف صوت الطيب ، وهو يقول :

— أراهنك أنها لم تُعد هناك .. لقد اصطحبها البارون
(ملقن) إلى لوحته .

عقد (نور) حاجبيه فى غضب ، وقال :

— حسناً أيها الطيب .. سنذهب معاً لرؤية جثة
(نادر) ، لأؤكد لك أن هذه الخدعة ليست متقنة بالقدر
المطلوب .

صاح الدكتور (صبرى) فى جدّة :

— لن أغادر هذه الحجرة أبداً .

صاح (نور) فى حزم :

— فليكن .. سأذهب أنا وستخسر الرهان أيها الطيب .
واندفع (نور) يغادر الحجرة فى خطوات سريعة ، وسمع
الجميع صوته وهو يصعد فى درجات السلم .. فغمغمت
(سلوى) ، وكأنها تحاول أن تطمئن نفسها :

— سيجده .. سيجده بالتأكيد .

غمغم الدكتور (صبرى) فى عناد :

— لن يجده ..

هتف (رمزي) في حِدَّة :

— إنك لن تقنعا أبدًا بأن هذه اللوحة عالم خاص بالأشباح

وال

قاطعته صوت (فكري) ، وهو يغمغم في سخط :

— ولكن هذه اللوحة ليست

وبتر عبارته فجأة ، فسأله (محمود) في اهتمام :

— ليست ماذا يا سيّد (فكري) ؟

مطّ (فكري) شفّيته ، وقال في برود ، وهو يتسم في

خبث :

— لست أدري .. لقد بدت لي مختلفة .

لم يكدهم عبارته ، حتى ظهر (نور) فجأة على باب حجرة

المكتب ، وهتفت (سلوى) :

— لقد وجدته يا (نور) .. أليس كذلك ؟

ولكن إجابته جاءت لتزيد من شحوب وجهها ورُغبتها ،

وهو يقول في حنق :

— نعم للأسف يا عزيزتي .. لقد اختفت جثة (نادر)

تمامًا ..

سقطت عبارة (نور) على رؤوس الآخرين كالصاعقة ،
فألقت (سلوى) جسدها فوق أقرب مقعد إليها ، وهي شاحبة
الوجه ، وأدار (رمزي) و (محمود) عيونهما إلى اللوحة في
ذهول ، وغمغم الدكتور (صبري) في رُعب :

— كنت واثقًا من ذلك ، كنت واثقًا من ذلك .

وانهمرت دموع (درويش) ، وهو يكرّر عبارته

التقليدية :

— ماذا يحدث هنا ؟

أما (فكري) فقد شحب وجهه ، وهو يغمغم :-

— ولكن هذا غير ممكن .. إن هذه اللوحة ..

وبتر عبارته مرّة أخرى ، وهو يدير عينيه إلى اللوحة في

خيرة ، في حين قال (نور) في حنق :

— لست أنكر أن الأمر يبدو غامضًا مخيفًا ، ولكنني ما زلت

أصرّ على أنه لا يتعلّق بالأشباح ، فهذا أمر مستحيل .

اندفع (رمزي) يقول فجأة :

— لماذا أيها القائد ؟

التفت إليه (نور) في حِدَّة ، وهو يقول :

— هل تحاول إقناعي بوجود الأشباح يا (رمزي) ؟

عقد (رمزي) حاجيه ، وهو يقول :

— لست أقصد الأشباح التي تصوورها يا (نور) ، وإنما

أقصد الأشباح التي يتحدث عنها العلم .

هتف (نور) في دهشة :

— العلم !؟

أسرع (محمود) يسأل (رمزي) في اهتمام :

— هل تقصد العالم الثنائي الأبعاد يا (رمزي) ؟

عقد (نور) حاجيه ، وهو يغمغم :

— العالم الثنائي الأبعاد !؟

في حين هتف (فكرى) في حنق :

— ماذا تعنون بهذا المصطلح ؟

أجابه (محمود) في انفعال :

— سأشرح لك الأمر بوسيلة مبسطة ياسيد (فكرى) ..

أنت تعلم أن عالمنا يعتمد في كل مقاييسه وأحجامه على ثلاثة

أبعاد رئيسية ، وهى الطول والعرض والارتفاع .. فأى جسم في

عالمنا ، مهما صغر حجمه ، له هذه الأبعاد الثلاثة ، وهو

ما يجعل كل شىء يبدو لنا مجسماً .. إما بالعين المجردة ، أو تحت

الميكروسكوب العادى أو الأيونى .. لقد استتج العلماء منذ

زمن طويل وجود عوالم رباعية الأبعاد ، وأخرى ثنائية الأبعاد وهذه

الأخيرة تفتقر إلى الارتفاع ، فيتكوّن عالمها من بعدين فقط ،

الطول والعرض ، تماماً كصورة مرسومة (*) .

اتسعت عينا (فكرى) ، وهو يقول :

— هل تعنى أن هذه اللوحة قد تكون ؟

قازعه (محمود) :

— لست أقصد هذه اللوحة بالذات ياسيد (فكرى) ، وإنما

أردت أن أقول إن مخلوقات العالم الثنائى الأبعاد ، مخلوقات

مسطحة ، أشبه بالظلال ، أو الأشباح ، أو الصور المرسومة على

سطح أملس .. وإن

بتر (محمود) عبارته فجأة .. إثر صرخة دُغر ، انطلقت

من بين شفتى الدكتور (صبرى) ، فالتفت إليه الجميع في توتر ،

ورأوه يشير إلى اللوحة بأصابع مرتجفة ، وهو يقول :

— لقد تحرك .. لقد تحرك ..

وقبل أن يسأله أحدهم عمّا يعنيه ، استطرد في رُعب

هائل :

— البارون (ملفن) .. المرسوم فى اللوحة .. لقد لَوَّح لى

بسيفه مهدداً ، ثم عاد يغمده فى رأس (نادر) .. لقد تحرك ..

أقسم لكم ..

(*) حقيقة علمية ..

٦ - الظلّ الدمويّ ..

تحسّس (نور) سطح لوحة (السحاب الأحمر) في حذر
ودقّة ، وفحص إطارها في اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث أن هنّر كفيه ،
وهو يقول في خيرة :

— إنها مجرد لوحة عادية ، مرسومة بالألوان الزيتية ،
والتشقّقات على سطحها تؤكد أنها مرسومة منذ زمن طويل ،
ولها إطار عاديّ من الخشب .

غمغم الدكتور (صبرى) في غضب :
— لوحة عادية بعد كل هذا أيها الرائد .

عاد (نور) يهنّر كفيه ، ويقول :

— هذا ما يبدو لي من فحصها يا دكتور (صبرى) .

هتف الدكتور (صبرى) في حنق :

— ولكنني رأيتّه يتحرّك .

تبادل (نور) نظرة حائرة مع (رمزي) ، الذي قال :

— أنت واثق من أنها لم تكن التماعة برق ، أو خيال أو ...



ورأوه يشير إلى اللوحة بأصابع مرتجفة ، وهو يقول :

— لقد تحرّك .. لقد تحرّك ..

قاطعته الدكتور (صبرى) فى غضب :

— أنا واثق مما رأيت أيها الطيب النفسى ، وتذكر أننى
أفوقك خبرة بما يزيد على عمرك .

عقد (رمزى) حاجبيه فى ضيق ، فى حين قال (نور)
بأقصى ما يمكنه من الهدوء :

— حسناً أيها السادة .. سنترك (السحاب الأحمر) فى
مكانها على الحائط ، وستجلسون فى زدهة القصر معاً .. فأنا
وفريقى نحتاج إلى الانفراد بعض الوقت ، حتى يمكننا حل لغز
هذا الشبح القاتل ..

تهبّ (رمزى) ، وهو يلوح بكفه ، قائلاً :

— لم لا نفترض أن البارون (ملقن) قد نجح بوسيلة ما فى
نقل جسده إلى عالم ثنائى الأبعاد ، وهو لوحة (السحاب
الأحمر) نفسها ، وأنه ينطلق منها لإشباع رغبته السّادية فى
سفك الدماء .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

— فى هذه الحالة سيبلغ عمره ما يزيد على ثلاثة قرون
يا (رمزى) .

هتف (محمود) :

— إننا لا ندرى شيئاً عن طبيعة مرور الزمن ، فى العوالم
ثنائية الأبعاد يا (نور) .

لوح (نور) بكفه ، وهو يقول :

— ما زلت أصرّ على أن الأمر كله لا يعدو كونه خدعة
يا رفاق .

سأله (سلوى) فى خيرة :

— كيف يا (نور) ؟

لوح بذراعه كلها ، وهو يقول :

— هل لا حظتم مثلى ، أن الدكتور (صبرى) بالذات ،
هو أكثر من يمتلك من معلومات حول أسطورة (السحاب
الأحمر) ؟ وأنه الدليل الوحيد على تحرك الصورة ؟

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يسأله :

— هل تعتقد أنه وراء كل ذلك ؟

مطّ (نور) شفّتيه ، وهو يقول :

— إننى أميل إلى ذلك يا (رمزى) .

ثم التفت إليه يسأله فى اهتمام :

— هل حصلت على عينة من الدم ، الذى كان يلوّث

اللوحة ؟

— أعتقد أنه من الأفضل أن ينتهي كل شيء يا (فكري) .
ونفض لي هدوء ، متجهًا إلى حجرة المكتب ، فهتف به
(درويش) في دُعر :

— هل سيدخل بقدميك إلى هناك ؟
أوماً الدكتور (صبرى) برأسه إيجابًا ، ونظر إلى (فكري)
لحظة ، ثم قال :
— اطمئن يا عزيزى (درويش) .. لن يستمر دُعركم
طويلاً .

ولم يكذب يخلق الباب خلفه ، حتى هبط (نور) ورفاقه ،
وعقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

— أين الدكتور (صبرى) ؟ ..
أشاح (فكري) بوجهه في ضجر ، في حين أشار
(درويش) إلى حجرة المكتب ، مغمغماً :
— لقد دخل هناك وخذته .
هتف (نور) في غضب :

— في حجرة المكتب ؟! .. ومن سمح له بذلك ؟
لم يكذب (نور) يتم عبارته ، حتى ارتفعت صرخة مدوية من
حجرة المكتب ، مَيِّز فيها الجميع صوت الدكتور (صبرى) ،
وهو يقول لي رُعب :

أوماً (رمزي) برأسه إيجابًا ، فعاد (نور) يقول :
— أريد منك أن تقارنها بفصيلة وعوامل الدم ، الموجودة في
سجل (نادر) بـ (الفيوم) يا (رمزي) ، فسيوقف الكثير على هذا .
اتسعت عينا (رمزي) ، وهو يقول في استكار :
— هل تريد مني أن أذهب الآن ، وسط المطر والعواصف ؟
أجابه (نور) في صرامة :
— نعم يا (رمزي) .. الآن .. فرمما تحدت مصائرنا جميعًا
بنتيجة هذا الفحص ..

ارتجف جسد (درويش) على نحو ملحوظ ، وهو يتلفت
حوله في خوف ، وغمغم في توثر :
— لقد تأخروا .. إننى أرتجف رعبًا .
مطً (فكري) شفته ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول :
— لا تقلق هكذا يا (درويش) .. لن يستمر هذا
الوضع طويلاً .

ثم التفت إلى الدكتور (صبرى) ، وقال في لهجة أقرب إلى
السخرية :

— أليس كذلك يا دكتور (صبرى) ؟
بادله الدكتور (صبرى) نظرة حذرة ، ثم غمغم :



كانت اللوحة خالية من صورة البارون (ملفن) .. وسحابها الأحمر
يقطر بالدم مرة أخرى .. وأسفلها تكوم جسد الدكتور (صبرى) ..

— كلاً .. كلاً .. ليس أنا .. ليس أنا .

اندفع (نور) و (رمزي) و (محمود) إلى حجرة
المكتب ، وأخذوا يدفعونه في قوة ، حتى هتف (رمزي) :
— إنه مغلق من الداخل .

وانكمش (درويش) في مقعده ، وهو يقول :

— لقد قتله الشبح ... لقد قتله الشبح ..

تراجع (نور) إلى الخلف ، وانتزع مسدسه الليزري ،
وهو يقول في لهجة أمرة :

— ابتعدا يا (رمزي) ويا (محمود) .. سأحطّم رتاج هذا

الباب ..

وانطلق خيط الليزر يذيب الرتاج المعدني ، وفُتِحَ الباب في
قوة ، عندما دفعه (نور) بقدمه ، واندفع إلى الداخل ، ثم
تسمر في مكانه ، وهتف (محمود) في ذعر :

— اللوحة !! الدكتور (صبرى) !!

فقد كانت اللوحة خالية من صورة البارون (ملفن) ..
وسحابها الأحمر يقطر بالدم مرة أخرى .. وأسفلها تكوم جسد

الدكتور (صبرى) جثة هامدة ..

— أريد أن أخرج من هنا .. أريد أن أعود إلى منزلي ..
سنلقى حتفنا جميعًا في هذا القصر اللعين ..

هتف (نور) في صرامة :

— بل ستبقى ياسيد (فكري) .. ستبقى لأن هناك
عشرات الأسئلة ، التي لم أ طرحها عليك بعد .

ازداد شحوب وجه (فكري) ، في حين التفت (نور) إلى
(رمزي) ، وقال في حزم :

— خذ عينة من ذلك الدم الموجود على اللوحة الآن
يا (رمزي) ، واستخدم سيارتي الصاروخية للذهاب إلى
(الفيوم) .. وحاول أن تعود بأقصى قدر من السرعة ، ومعك
نتائج الفحص والمقارنة بالملفات ، حتى ولو اضطررت لإيقاظ
أطباء معامل السجلات المدنية ، وانتزاعهم من أسرهم .. لا بد
من حسم هذا الأمر قبل مطلع الفجر ..

مطّ (رمزي) شفثيه في ضيق ، وهو يندفع بسيارة (نور)
الصاروخية وسط المطر المنهمر ، وغمغم في حلق :

— يا إلهي !!.. هذه واحدة من المرات النادرة ، التي
كرهت فيها كوني طيبًا .

٧ — نهر الدم ..

اعتدل (رمزي) ، بعد أن فحص جثة الدكتور
(صبري) ، وقال في أسف :

— لقد مات .. قضى نحبه بنفس الوسيلة التي قُتل بها
(نادر) .. طعنة سيف رفيع في القلب مباشرة .

تراخت ساقا (درويش) ، وكاد يسقط فاقد الوعي ، في
حين أعلن (فكري) عن دُغره لأول مرة ، وهو يتمتم :

— رحماك يا إلهي !!.. رحماك !!

أما (نور) فقد سأل (رمزي) في اهتمام :

— هل طعنَ في نفس الموضع تمامًا ؟

هزّ (رمزي) كتفيه ، وأجاب في خفوت :

— لقد طعنَ في القلب مباشرة ، ولكنني لا أستطيع أن

أجزم بأنه نفس الموضع .. فأنا لم أفحص جثة (نادر) ، وإنما
فحصها الدكتور (صبري) المسكين .

وتراجع (فكري) في رُعب ، وهو يقول :

كان يشعر بالحنق لاضطراره قطع هذه الكيلومترات
العشرة ، التي تفصل القصر عن مدينة (الفيوم) ، وسط هذا
الجو العاصف الرديء .. ولكنه لم يلبث أن تذكر ذلك الموقف
الخيف ، الذي يعيشه (نور) والآخرون ، فتصرَّج وجهه
بُخْمرة الخجل ، وغمغم :

— يبدو أنني مخطئ .. فكل ما أفعله هو أن أواجه المطر
والرياح ، في حين يبقى (نور) و (سلوى) و (محمود) في
مواجهة شبح قاتل .

وانتابه حماس مفاجئ فهتف :

— سنحل لغز لوحة (السحاب الأحمر) قبل مطلع الفجر
يا (نور) .. أعدك بذلك .
وزاد من سرعة سيارته ، ليقطع الكيلومترات الباقية في
لحظات ..

احتقن وجه (فكرى) ، وصاح في وجه (نور) غاضبًا :

— هل تهمنى بقتل (نادر) و (صبرى) أيها الرائد ؟

هزَّ (نور) كتفيه في هدوء ، وقال :

— إننى لم أتهمك بعد يا سيِّد (فكرى) ، ولكننى أسألك

فقط عما فعلته منذ صعودنا للتشاور في الأمر ، وحتى عودتنا .

لَوْح (فكرى) بذراعه في غضب ، وصاح :

— إننى لم أغادر هذا البهو لحظة أيها الرائد .. وسيشهد

(درويش) بذلك .

صاح (نور) في حِدَّة :

— الوسائل العلمية الحديثة لا تجعلك مضطرًا لمغادرة

البهو ، حتى يمكنك ارتكاب جريمة في حجرة المكتب .

هتف (فكرى) في غضب :

— إننى من الجيل القديم أيها الرائد .. الذى لا يميل

لاستخدام الوسائل العلمية الحديثة ، وأنا ...

بتر (فكرى) عبارته فجأة ، واحتقن وجهه في شدة ،

وجحظت عيناه على نحو مخيف ، فأسرع إليه (نور) ، يسأله

في قلق :

— ماذا بك يا سيِّد (فكرى) ؟

مضت لحظة ، عجز فيها (فكرى) عن النطق ، ثم لَوَّح

بكفِّه في ضعف ، وهو يقول :

— إنه قلبى .. لم يعد يحتمل .

أسرع (نور) يُرقدّه فوق الأريكة ، وهو يقول في إشفاق :

— استرح يا سيِّد (فكرى) .. استرح قليلًا ، قبل أن

تحدث ..

أخذ (فكري) يلهث ، وهو يقول :

— اللوحة .. إنها ليست نفس اللوحة ..

عقد (نور) حاجيه ، وهو يقول :

— ماذا تعنى يا سيّد (فكري) ؟

لُحَيْل لـ (نور) أن الرجل يبذل جهدًا خرافيًا ، ليغمغم :

— تلك اللوحة اللعينة .. إنها ليست

وفجأة .. أطفئت الأنوار مرّة ثانية ، وساد الظلام التام ،

وتعلّقت (سلوى) بذراع (نور) ، وهى تهتف فى دُعر :

— سيعاود الكرّة يا (نور) .. سيقتل أحدنا .

شهق (فكري) ، وأخذ يلهث فى قوة ، وهو يقول فى رعب :

— إنه دورى هذه المرّة .. إنه يعلم أنى أعرف

هتف به (نور) فى توتر بالغ .

— تعرف ماذا يا سيّد (فكري) ؟

وفجأة .. تحرّكت نفس الأقدام البطيئة الثقيلة فى البهو ،

وصرخ (فكري) فى رُعب هائل :

— لا ليس أنا .. ليس أنا .. لن أخبر أحدًا .. لن

وبتر عبارته ليردّفها بشهقة قوية ، وتشبّث بذراع (نور) فى

قوة ، ثم تراخت قبضته ، وتراخى جسده تمامًا ..

تشاءب طيب معامل السجل المدنى فى إرهاق ، وألقى نظرة
متراخية على (رمزي) ، الذى انهمك فى فحص عينات الدم
ومقارنتها بالسجلات ، وغمغم فى إرهاق :

— هل انتهيت ؟

أجابه (رمزي) فى حماس :

— نعم .. ولقد حصلت على نتيجة مذهشة يا صديقى .

حاول طيب معامل أن يتسم ، إلا أن الإرهاق الذى يشعر

به منع ابتسامته من الوصول إلى شفّيته ، وهو يغمغم فى ضجر :

— هذا عظيم .

قفز (رمزي) من مقعده ، وهو يقول فى حماس :

— بل أكثر من عظيم يا صديقى .. إنه سيحسم الأمر تمامًا .

ثم أسرع إلى حيث تقف سيارة (نور) ، أمام المعامل ،

وانطلق بها فى سرعة جعلت طيب المعامل يتسم فى شحوب ،

وهو يقول :

— فى المرّة القادمة ، حاول أن تبدأ تحريّاتك مبكرًا

يا زميلى .

لم يسمع (رمزي) هذه العبارة بالطبع ، وهو يشق المطر

الغزير ، والرياح بسيارة (نور) ، ويغمغم فى حماس :



وقبل أن يضغط (رمزي) كابح السيارة (الإيروماتيك) ،
ارتطمت مقدمتها بشجرة ضخمة على جانب الطريق ..

— لأول مرة ستعرف بصحة نظريات فريقك يا (نور) ..
لأول مرة لن تحقق أنت النصر .

لم ينتبه في غمرة حماسه إلى أنه يقود السيارة بسرعة تزيد على
السرعة الآمنة ، في مثل هذا الطريق الفرعي الترابي ..
لم ينتبه إلى ذلك إلا حينما انزلت عجلات السيارة فجأة ،
واندفعت إلى جانب الطريق ، وعلى الرغم من سرعة رد الفعل
عنده ، إلا أن الطريق كان أضيق من أن يحتمل ذلك الانحراف
المفاجئ .. وقبل أن يضغط (رمزي) كابح السيارة
(الإيروماتيك) ، ارتطمت مقدمتها بشجرة ضخمة على
جانب الطريق ، ومالت على جانبها ، ثم انقلبت وتدحرجت في
قوة ، قبل أن تستقر في وضع مقلوب ، وبداخلها (رمزي) ،
الذي أخذ يقاوم تلك الغيبوبة التي أحاطت بعقله في قوة ، وهو
يحاول جاهدا نزع حزام الأمان ، الذي يحيط بوسطه ، إلا أن
أصابعه تراخت ، وسقطت مستسلمة ، حينما فقد وعيه ،
وسط الأمطار والرياح والظلام ..

باسل

www.dvd4arab.com

٨ - اللوحة المعونة ..

سطع الضوء فجأة في القصر ، كما انقطع فجأة ، و (نور)
يحاول جاهداً إسعاف (فكرى) ، الذى جحظت عيناه ،
واسترخت عضلاته ، ثم لم يلبث اليأس أن ارتسم على وجه
(نور) ، وهو يغمغم فى ألم :

— لقد مات .. توقّف قلبه الضعيف من شدة دُعره .

خفضت (سلوى) رأسها فى أسف ، وزفر (محمود) فى
قوة ، فى حين انكمش (درويش) فى مقعده ، وهو يغمغم فى
رعب :

— لقد حان دورى .. أنا التالى .. أنا التالى .

عقد (نور) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

— لن يكون هناك تالى — بإذن الله — ياسيد

(درويش) .

تشبّث (درويش) بذراع (نور) ، وهو يهتف فى ضراعة :

— دُعنا نغادر هذا المكان أيها الرائد .. أرجوك .

مطّ (نور) شفّته فى أسف ، وهو يقول :

— لك الحق فى هذا ياسيد (درويش) .. ولكننا سنضطر

لانتظار عودة (رمزى) ، فهو يستقلّ سيارتى و

قاطعه (درويش) لى ضراعة :

— سيارة الدكتور (صبرى) تنظر لى الخارج ، ويمكننا أن

نستقلها .

تردّد (نور) لحظة ، فعاد (درويش) يتشبّث بذراعه ،

ويهتف فى توسّل :

— ستجد مفاتيحها فى جيب سترته ولا شك .. أرجوك .

تنهّد (نور) ، وقال :

— حسناً ياسيد (درويش) .. سنغادر المكان .

ثم أزاح يده فى هدوء ، واتجه فى خطوات ثابتة إلى حجرة

المكتب ، ودخلها فى بساطة ، فغمغمت (سلوى) فى توثر :

— لست أدرى كيف جرّؤ (نور) على ولّوج هذه الحجرة

ثانية ؟

غمغم (محمود) :

— يلوح لى أحيانا أن زوجك يمتلك قلباً فولاذياً

يا (سلوى) .

لم تعقب (سلوى) على عبارته ، وتعلقت عيون ثلاثهم
بباب حجرة المكتب فى قلق ، حتى عاد (نور) ، وهو يعقد
حاجبيه فى ضيق ، فسأله (درويش) فى تردد :

— هل أحضرت المفاتيح ؟

أجابه (نور) فى حنق :

— لا .

ارتجف صوت (سلوى) ، وهى تسأله :

— لماذا ؟

أجابها فى غضب واضح :

— لأننى ببساطة لم أعثر على جثة الدكتور (صبرى) ..

لقد اختفت بدورها ، كما اختفت جثة (نادر) ، واحتلت رأسه
مكانها وسط لوحة (السحاب الأحمر) الملعونة .

كانت عبارة (نور) تكفى لأن يرتجف (درويش) ، من
قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ، ثم يصرخ فى رعب :

— لا بد أن أذهب .. أريد أن أغادر هذا المكان الملعون .

ثم اندفع فجأة يتعلق بعنق (نور) ، وهو يصرخ :

— أخرجنى من هنا أيها الرائد .. أخرجنى قبل أن أقتلك .

أزاح (نور) قبضته عن عنقه فى صرامة ، وهو يقول فى حدة :
— فلتنصرف وحدك إذا أردت ياسيد (درويش) ،
ولكننى لن أغادر هذا القصر الملعون ، قبل أن أتوصل لحل هذا
اللغز .

انهار (درويش) على مقعد جانبي ، وانخرط فى البكاء ،
وهو يقول :

— إننى لا أجيد القيادة .. لن يمكنى الانصراف وحدى .
عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

— سيكون عليك إذن أن تنتظر عودة (رمزى) و ..
بتر (نور) عبارته فجأة ، واتسعت عيناه ، وهو يهتف فى

توتر :

— يا إلهى !!.. (رمزى) !!.. لقد انصرف منذ فترة
طويلة ، و ..

ثم استدار إلى رفيقيه ، وقال فى لهجة أمرة ، واضحة القلق :

— سأذهب بحثًا عن (رمزى) ، فأنا أشعر أنه قد تعرّض
لمكروه ما .. وأريد منكما ألا تغادرا هذا القصر ، وأن يظل

كلاكما مع السيد (درويش) ، وألا يفترقا ثلاثكم أبدًا ، حتى
أعود ..

وقبل أن ينطق أحدهم بكلمة واحدة ، كان قد اندفع خارج القصر ، وقفز داخل سيارة الدكتور (صبرى) ، وهو يغمغم في توثر :

— هيا يا (نور) .. استرجع ما درستہ وتعلمته عن هذه السيارات البدائية ، ذات المحرك الذى يعتمد على الاحتراق الداخلى بالوقود السائل .. هيا .. إن كتب التاريخ العلمى تقول إنها تدار بواسطة شرارة كهربية ، يمكن استحداثها بتوصيل الأسلاك .

وأخذ يبحث فى توثر عن سلكى الإدارة ، حتى عثر عليهما ، فقطعهما نصفين ، وأوصلهما ، فدار محرك السيارة البدائية فى ضجيج لم يعد مألوفاً فى ذلك العصر .. وتردد (نور) لحظة ، ثم ضغط دواسة الوقود ، وانطلق بالسيارة ، فى طريق (الفيوم) ..

ساد الصمت التام فى بهو القصر ، بعد انصراف (نور) المفاجئ ، حتى غمغمت (سلوى) فى توثر :

— فلندع الله (سبحانه وتعالى) أن تستقر الأمور حتى يعود (نور) .

تنهد (محمود) ، وقال :

— أنا واثق من أن (نور) ما زال يصر على أن الأمر مجرد خدعة .

قلبت (سلوى) كفيها ، وقالت فى خيرة ، وهى تتلفت حولها فى خوف :

— لو أنها خدعة ، فكيف تبدلت اللوحة ونحن لم نفارق المدخل الوحيد لحجرة المكتب ؟

فوجئ (محمود) و (سلوى) بـ (درويش) يقول فى خوف :

— ربما عبر أحد الممرات السرية .

حدقا فى وجهه بدهشة ، وهتفت (سلوى) :

— وهل توجد فى القصر ممرات سرية ؟

أوما (درويش) برأسه إيجاباً فى توثر ، وغمغم فى خفوت مضطرب :

— نعم .. لقد كان جد (نادر) (رحمهما الله) يهوى هذه التعقيدات .. ولقد أوصل القصر بعدد من المداخل والممرات السرية ، المنتشرة هنا .

هتف (محمود) فى دهشة :

— وهل هناك مدخل سرّي في المكتبة ؟

ارتبك (درويش) ، وهو يقول :

— نعم .. هناك واحد حسبما أذكر .

تبادل (محمود) و (سلوى) نظرة دهشة بالغة ، وهتفت

(سلوى) :

— لِمَ لم تقل ذلك منذ البداية ؟

ثم أمسكت معصم (محمود) في قوة ، وهي تهتف في

انفعال :

— لو أنه يوجد حقًا ممر سرّي في حجرة المكتب ، فسيعني

هذا أن الأمر كله مجرد خدعة يا (محمود) .. دَعْنَا نبحث عن

ذلك الممر السرّي .

تردّد (محمود) ، وهو يقول :

— هل سندخل إلى حجرة المكتب ؟

هتفت (سلوى) في حماس وانفعال :

— سندخلها معًا ، وسنعثر على هذا الممر السرّي ، قبل أن

يصل (نور) .

صاح (درويش) في رعب :

— مستحيل !! إننى لن أطأ هذه الحجرة الملعونة بقدمي أبدًا .

حدّجته (سلوى) بنظرة قاسية ، وهي تقول :

— سيكون عليك أن تنتظر وحدك إذن .

ثم أسرعت إلى حجرة المكتب ، وتبعها (محمود) في ضيق ،

في حين لحق بهما (درويش) في دُعر ، ولم يستطع ثلاثتهم منع

تلك القشعريرة التي سرت في أجسادهم ، حينما وقع بصرهم

على اللوحة ، التي بدت فيها صورة البارون (ملقن) ، وهو

يغمد سيفه في رأس الدكتور (صبرى) ، ويخترقه إلى رأس

(نادر) .. ودون اتفاق سابق ، أشاح ثلاثتهم برءوسهم في آن

واحد ، وغمغمت (سلوى) في توثر :

— أين يقع مدخل الممر السرّي ياسيد (درويش) ؟

أشار (درويش) إلى مكتبة صغيرة تلتصق بالحائط ،

وقال :

— أعتقد أنه هناك ، خلف تلك المكتبة ، وأنه

وتحوّلت عبارته إلى شهقة رعب ، حينما انطفأت أضواء

القصر كلها فجأة ، وارتجفت (سلوى) ، وهي تقول :

— يالى من حمقاء !! كيف خطرت هذه الفكرة الجنونية

برأسي ؟

لم تكذ تم عبارتها ، حتى التمع البرق فجأة ، وأضاء حجرة



فقد كان البارون (ملقن) نفسه ، أو شبحه بمعنى أدق ،
يقف أمام لوحته ، ويحدّق في وجوههم بغضب ..

المكتب عبّر نافذتها الزجاجية ، وفي تلك اللحظة الحاطفة من
البرق ، تهاوت قلوب الثلاثة بين أقدامهم .. فقد كانت لوحة
البارون (ملقن) خالية من صورته ، وإن لم تختف تلك النظرة
البيضة ، التي تجمع بين الوحشية والشراسة والبُغض ، فقد
كان البارون (ملقن) نفسه ، أو شبحه بمعنى أدق ، يقف
أمام لوحته ، ويحدّق في وجوههم بغضب ..



٩ - وومض العقل ..

شعر (نور) بحنق شديد ، بسبب تلك السرعة البطيئة ،
التي تنطلق بها سيارة الدكتور (صبرى) ، بالمقارنة بالسرعات
المرتفعة ، التي اعتادها في سيارته الصاروخية الحديثة ، وبدت له
الكيلومترات التي يقطعها وكأنها أميال ممتدة إلى مدى البصر ،
حتى سقطت أضواء السيارة على سيارته المقلوبة ، فتوقف ، وقفز
من السيارة في قلق ، واندفع تحت المطر الغزير إلى سيارته ،
وأسرع ينزح حزام الأمان الملتف حول وسط (رمزى) في لهفة ،
ثم حمله إلى السيارة الأخرى ، وهو يغمغم في خوف :
— أرجو ألا يكون قد أصابه مكروه .

وفحص جسد (رمزى) في سرعة ومهارة ، ثم لم يلبث أن
تنهد في ارتياح ، حينما تبين أنه لم يصب إلا بغيوبة فحسب ،
وأخذ يحاول إنعاشه في لهفة ، حتى فتح (رمزى) عينيه ، وتأوه
قبل أن يغمغم في ألم :

— ماذا حدث ؟ .. أين أنا ؟

واستيقظ عقله فجأة ، وعاد إليه صفاؤه ، فهتف :

— يا إلهى !! .. (نور) ؟ .. كيف جئت إلى هنا ؟

أجابه (نور) في ارتياح :

— حمدًا لله على سلامتكم يا (رمزى) .. لقد تأخرت كثيرًا

في العودة ، مما أقلقنى و

قاطعته (رمزى) في انفعال :

— لقد حصلت على نتائج عينات الدم يا (نور) .

عقد (نور) حاجبيه ، واتسعت عيناه في اهتمام ، في حين

استطرد (رمزى) :

— العينات المأخوذة من نفس دماء (نادر) و (صبرى)

يا (نور) .. لم يعد هناك شك في نظرية العالم الشائى الأبعاد ..

هذه اللوحة هي المدخل إلى ذلك العالم يا (نور) .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يدير محرك السيارة

القديمة ، قائلاً :

— هذا يعنى ضرورة عودتنا بسرعة يا (رمزى) .

وانطلق بالسيارة عائداً إلى القصر ، وهو يدير الأمر في رأسه

على كل جوانبه ، أما (رمزى) فقد تحسّس رأسه في ألم ، وهو

يغمغم :

— يا له من صراع رهيب !! وأنا الذي تصوّرت في البداية أن الأمر كله مجرد مزحة و....

أوقف (نور) السيارة بغتة ، حتى كادت تنزلق فوق الطريق الزّجج ، وهتف وهو يستدير إلى (رمزي) :

— ماذا قلت يا (رمزي) ؟

حدّق (رمزي) في وجهه بدهشة ، وغمغم في خيرة :

— إنها مجرد عبارة عادية يا (نور) .

ومض البرق وغمرهما بضوئه في تلك اللحظة ، إلا أن عيني

(نور) بدتا أشدّ اتماغاً منه ، وهو يهتف في حماس :

— كلاً يا (رمزي) .. إنها ليست مجرد عبارة عادية .. إنها

مفتاح حلّ اللغز كله يا صديقي ..

اتسعت عينا (رمزي) ، وهو يهتف في صوت أجش ، من

فرط الانفعال :

— (نور) .. هل !؟

صاح (نور) في سعادة :

— نعم يا صديقي .. لقد توصلت إلى حلّ لغز الشّبح

القاتل .

ثم عاد ينطلق بالسيارة ، وهو يستطرد في انفعال :

— المهم الآن أن نسرع بالوصول إلى ذلك القصر الملعون ، قبل أن يحقق الشّبح انتصاراً جديداً ، ويغمر اللوحة كلها بالسحاب الأحمر الدامي ..

ترابج (محمود) و (درويش) و (سلوى) في رعب ، أمام البارون (ملقن) ، الذي أخذ يتقدّم منهم في بطاء ، وسط الضوء الخافت ، المتسلّل عبر نافذة الحجر ، مع التماعات البرق ، الذي تزايدت حدّته ، وكأنما يصرّ على إضفاء مزيد من الرّعب على ذلك المشهد ، ورفع (درويش) ذراعيه أمامه ، وهو يصرخ في رعب :

— الرّحمة !! أرجوك !! الرحمة !!

وفجأة .. ومع التماعة برق قوية ، قفز الشّبح إلى الأمام ، وغرز سيفه في قلب (درويش) ، الذي شهق في مزيج من الألم والرّعب ، وامتزجت شهقته بصرخة (سلوى) ، حينما جذب الشّبح سيفه من قلب (درويش) ، وتركه يسقط جثة هامدة ، ثم استدار يواجه (محمود) و (سلوى) ..

واستجمع (محمود) شجاعته كلها ، وقفز نحو الشّبح ، الذي استقبله بطعنة نافذة ، عبّرت ذراع (محمود) اليسرى ،

ثم لكمة لكمة قوية ، أطاحت به بعيداً ، وهو ينتزع سيفه من ذراعه ..

واستدار يواجه (سلوى) ، التي أصبحت وحيدة ، بعد أن لقي (درويش) مصرعه ، وفقد (محمود) وعيه ..

وتراجعت (سلوى) في رُعب هائل ، وهي تهتف :

— إلى يا (نور) .. النجدة يا (نور) .

وفجأة .. ارتطمت (سلوى) بالمكتبة الصغيرة ، التي دارت حول نفسها في حركة سريعة ، احتوت خلالها جسد (سلوى) ، وألقت به في الجانب الآخر من الحائط ، داخل ممر مظلم ..

وقفزت (سلوى) واقفة على قدميها ، وانطلقت تعدو في رُعب ، وهي لا تتبين حتى موضع قدميها ..

أما شبح البارون (ملقن) ، فقد توقف لحظة ، وأدار بصره إلى لوحة (السحاب الأحمر) .. وابتسم في وحشية .. فقد تحقق له النصر الكامل .

هتف (نور) في توتر بالغ ، وهو يندفع بسيارته نحو

القصر ، الذي غرق وسط الظلام الدامس :

— يا إلهي !! .. إنه الظلام مرة أخرى يا (رمزي) .

أخرج (رمزي) من جيب معطفه مصباحاً يدوياً ، وهو يقول في حزم :

— لقد احتطت لذلك يا (نور) ، وأحضرت هذا المصباح .

هتف (نور) :

— المهم أن ننجح في استخدامه في الوقت الصحيح

يا (رمزي) .

وأوقف سيارة الدكتور (صبرى) القديمة أمام القصر ، واختطف المصباح من يد (رمزي) وأضاءه وهو يقفز خارج السيارة ، ويندفع إلى القصر هاتفاً في عصبية :

— أسرع يا (رمزي) .. أسرع .. فهذا الشبح لا يرتوى من الدماء أبداً .

لحق به (رمزي) في توتر مماثل ، وسمعه يهتف في قلق :

— الرّدهة خالية .. حتى من جثة (فكرى) .. تُرى أين

ذهب (محمود) و (سلوى) و (درويش) ؟

هتف (رمزي) في دهشة :

— هل لقي (فكرى) مصرعه ؟

أسرع (نور) إلى حجرة المكتب ، وهو يقول :

— نعم .. لقد نجح الشبح في اقتناصه بضربة ذكية .

ودفع (نور) باب المكتب بقدمه ، وأدار مصباحه فيه في لهفة ، وتوقف ضوء المصباح فوق جسد (محمود) ، فصاح (رمزي) في دُعر- :

— يا إلهي !!.. إنه (محمود) .

وأسرع يفحصه في جزع ، ثم لم يلبث أن هتف :

— حمدًا لله .. إن جرح ذراعه غائر ، ولكنه سيشفى

— بإذن الله — فهو فاقد الوعي فقط ، ولكنه حي ، ولم يفقد الكثير من الدماء .

غمغم (نور) في خوف :

— ولكن أين (سلوى) ؟

وعاد يدير مصباحه في أرجاء المكتب .. ولم يكد ضوء

المصباح يسقط على اللوحة ، حتى اتسعت عينا (نور) ، وهتف في دهشة :

— يا إلهي !!

التفت (رمزي) إلى البقعة التي يسقط عليها ضوء

المصباح ، فاتسعت عيناه بدوره ، وهو يغمغم :

— يا للبشاعة !!

فقد كانت اللوحة تحمل هذه المرة صورة البارون

(ملقن) ، ولكن سيفه كان يحمل أربعة رؤوس ، لـ (نادر) ،

و (صبري) ، و (فكري) ، و (درويش) ، وصاح

(نور) في سخط وتوثر :

— هذا الوغد يؤكد انتصاره .. ولكن أين (سلوى) ؟

وفجأة .. ووسط هزيم الرعد ، وصوت المطر المنهمر ،

تسلل إلى مسامع (نور) صوت صرخة مكتومة ، وهتف هو

بكل جزعه وذُعره ولوعته :

— يا إلهي !!.. (سلوى) !!

ولم يكن يدري أن زوجته في هذه اللحظة تستد إلى الباب

الخشبي العتيق ، وتواجه الشبح القاتل ، الذي بدأ يسحب

سيفه الرفيع من غمده في بطاء وهدوء ، ليغمده في قلب ضحيته

الخامسة ..

١٠ - قاتل عبّر العصور ..

تلاحق وميض البرق ، وتعاقب في سرعة ، مختلطاً بهزيم الرعد
وانهمار المطر ، الذى ازداد غزارةً في هذه الليلة الليلية ،
واحتبست صرخة رعب في حلق (سلوى) ، واتسعت عيناها
حتى بدتا أقرب إلى الجحوظ ، وهى تحدق في عيني الشبح ،
اللتين يومضهما البرق وتخفيهما في تعاقب مخيف ، وتخاذلت ساقاها
واصطكت ركبتيها ، وهو يسحب سيفه الرفيع من غمده ..
ورفع الشبح سيفه في وجهها ، وبدا وكأنه ينتظر التماعه برق
تنفذ عبّر شقوق الباب الخشبي ، ليفوض بذباته في أعماق
قلبا ، الذى كان ينبض في قوة لم تعهدا من قبل ..
ولم يكن هناك مفرٌ من الموت ..

وفجأة .. تردّد في الممرّ المظلم صوت المكتبة الصغيرة ،
وهى تدور حول نفسها ، وانتقل صدى خطوات (نور) ،
وهو يعبر الممرّ ، هاتفاً في جزع :
- سلوى .. هل أنت بخير ؟



ولم يكن يدري أن زوجته في هذه اللحظة تستد إلى الباب
الخشبي العتيق ، وتواجه الشبح القاتل الذى بدأ يسحب سيفه الرفيع ..

صوته وحده حطم جدار الخوف السميك ، الذي أحاط
بها ، فتجمعت كل رغبتها في الحياة ، وانطلقت من بين شفتيها ،
على هيئة صرخة مدوية :

— نور .

وتردد صدى صرختها في أرجاء الممر المظلم ، وتكرر ،
وتضاعف ، واختلط بصوت أقدام (نور) ، وهو يعدو بكل
ما يملك من قوة ، وشق ضوء مصباحه اليدوي ظلام الممر ،
وسقط فوق شبح البارون (ملقن) ..

واستدار الشبح يواجه خصمه ، وتضاعفت في عينيه
نظرات الوحشية والشراسة والبغض ، وارتفع سيفه في وجه
(نور) ، الذي خفف من سرعة عدوه ، حينما اقترب من
الشبح ، وتوقف على بعد متر واحد منه ، ورفع ضوء المصباح في
وجهه ، وهو يقول :

— ها نحن أولاء نلتقى وجهًا لوجه ، لأول مرة أيها الشبح .
وفجأة .. وفي حركة سريعة ، ضرب الشبح المصباح اليدوي
بسيفه ، فألقى به من يد (نور) ، ثم قفز إلى الأمام ، ورفع
سيفه نحو قلب بطلنا ..

انتفض جسد (محمود) في قوة ، حينما استعاد وعيه ،
ووجد الظلام يحيط به ، وشعر بيد تتحسس ذراعه في اهتمام ،
فدفع اليد بعيدًا في دُعر ، وهو يهتف :

— كلاً .. إنك لن

قاطعته صوت مألوف ، يقول في إشفاق :

— رُوَيْدِكَ يَا (محمود) .. إنه أنا .. (رمزي) .

اتسعت عينا (محمود) ، وهو يقول في اضطراب :

— (رمزي)؟! .. ولكن أين نحن؟! .. أين (نور) و...؟

عاد (رمزي) يقاطعه في توثر :

— اهدأ يا (محمود) ، ودعني أضمد جراحك .

ثم أردف في اضطراب :

— إن (نور) يطارد الشبح .

هتف (محمود) :

— يطارد الشبح؟! .. إنه شبح قاتل .. إنه

وبتر عبارته ليصيح في هفة :

— هناك ممر سرى خلف المكتبة الصغيرة هناك

يا (رمزي) .. لقد كنا بصدد كشفه أنا و (سلوى) ، حينما

هاجمنا الشبح و

مرّة ثالثة قاطعه (رمزي) ، قائلًا :

— لقد عثر (نور) على الممرّ يا (محمود) .

هتف (محمود) في دهشة :

— عثر عليه !؟

أجابته (رمزي) :

— نعم يا (محمود) .. لقد سمعنا صراخ (سلوى) ، وكان

الصراخ يأتي من خلف الحائط .. وتحول (نور) إلى ليث

هائج ، وهو يفحص الحائط ، ويختبره في سرعة ومهارة

وإصرار ، حتى عثر على مدخل الممرّ السريّ ، واندفع داخله في

إصرار .

غمغم (محمود) في جزع :

— هذا يعني أنه يواجه الآن قاتلاً ، سفك الدماء عبر

العصور .. يواجه شبحًا .. ويالها من مواجهة !!

سقط المصباح اليدوي من يد (نور) ، إثر ضربة سيف

الشبح ، وتصارع ضوءه مع ظلمة الممرّ لحظة ، قبل أن يستقرّ

ساكنًا ، في نفس الثانية التي قفز فيها (نور) جانبًا ، وغاص إلى

أسفل ، متفاديًا نصل السيف ، ثم عاد بجسده خطوة إلى

الوراء ، وهو يقول في لهجة أقرب إلى السخرية :

— أمكذا تتصارعون في عالمك الثنائي الأبعاد أيها الشبح ؟

كان الظلام سائداً ، إلا من بقعة الضوء التي يلقيها المصباح

اليدوي ، والتي تجعل كلاً من الخصمين يتبيّن صاحبه في

صعوبة .. إلا أن ذلك لم يمنع الشبح من أن يقفز مرّة أخرى إلى

الأمام ، محاولاً طعن (نور) بسيفه ذي الطرف المدبب ..

ولكن (نور) كان مستعداً للمواجهة هذه المرّة ، فمال بجسده

كله إلى اليمين ، وترك نصل السيف يمرق أمامه ، ثم قبض على

معصم الشبح في قوة ، وأطلق قبضته اليسرى في فكّه كالقنبلة ،

وسمع الشبح يتأوّه من قوة اللكمة ، فأعقبها بأخرى

كالصاعقة ، دون أن يفلت منه معصم الشبح ، وهو يقول في

سخرية :

— عجباً !! إنها أول مرّة أسمع فيها تأوهات شبح !

تأوّه الشبح مرّة أخرى ، وترنح ، وتراخت قبضته المسكّة

بالسيف ، الذي سقط وارتطم بالأرض ، وتردّد رنينه عبر الممرّ

كله ..

وهنا ترك (نور) معصم الشبح وهوى على معدته بلكمة

من يمينه ، أعقبها بأخرى من يساره ، وترك الشبح يهوى تحت

قدميه ..

ورفع (نور) عينيه إلى (سلوى) ، وهو يغمغم محاولاً شق
الظلمة لرؤيتها :

— (سلوى) هل أنت بخير ؟

ألقت (سلوى) جسدها بين ذراعي زوجها ، دون أن
تدرى كيف أمكنها ذلك وسط الظلام ، وتفجرت بالبكاء ،
وهي تتحسسه ، غير مصدقة بالنجاة ، وأخذت تهتف :

— (نور) !!.. لقد وصلت في اللحظة المناسبة
كالعادة .. لقد كاد هذا الشبح يضم رأسي للوحته اللعينة .

رأت (نور) على شعرها في حنان ، وهو يغمغم :

— إنه ليس شبحاً .. ليس شبحاً يا (سلوى) .

هتفت في دهشة :

— ليس شبحاً؟!.. هل تقصد أنه البارون (ملقن)

نفسه ، في عالم ثنائى الأبعاد؟!.. لقد سمعتك تذكر ذلك في أثناء

صراخك معه .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— لا يا زوجتي الحبيبة .. إن الحقيقة أشد تعقيداً من ذلك .

ثم انحنى في هدوء ، والتقط مصباحه اليدوي ، وألقى ضوءه

على وجه الشبح ، ثم انحنى نحوه ، مستطرداً :



تأوه الشبح مرة أخرى ، وترنح ، وتراخت قبضته المسكة
بالسيف ، الذي سقط وارتطم بالأرض ..

— إنه قاتل يا (سلوى) .. قاتل أراد أن يحقق حلم المجرمين
عبر العصور ، ويفوز بارتكاب الجريمة الكاملة ، دون أن
يدرك — على الرغم من عبقريته — أنه ما من جريمة كاملة في
الزمان كله ، وأن المجرم يسقط في أيدي العدالة دائماً ، مهما
بلغ إحكام خطته ، ومهما بلغ ذكاؤه .

وفي هدوء ، أمسك (نور) وجه الشبح ، وانتزعه على نحو
أثار رجفة قوية في جسد (سلوى) ، ثم لم تلبث رجفتها أن تحولت
إلى ذهول جارف ، وهي تحدق في الوجه الذي بدا أسفل ذلك
القناع المطاطي الرقيق ، الذي يحمل وجه البارون (ملقن) ،
وتستمع إلى زوجها (نور) ، وهو يقول في هدوء :
— هذا هو شبحنا القاتل يا عزيزتي .

ولم تكن عبارته مبالغة ، فلقد كانت (سلوى) تحدق في
وجه شبح ..

شبح رجل لقي مصرعه أمامها ..

كانت تحدق في وجه (نادر) !!

١١ — جريمة العصر ..

عاد الضوء يسطع في القصر القديم ، وارتفع صوت (محمود)
وهو يقول :

— لقد عثرت على جهاز فصل التيار الكهربائي ، وألغيت
عمله .

تنهدت (سلوى) في ارتياح ، وهي تقول :

— يا إلهي !! .. كم أشعر بروعة الضوء ، بعد كل هذا الظلام .

ابتسم (رمزي) لعبارتها ، وألقى نظرة عابرة على
(نادر) ، الذي لم يستعد وعيه بعد ، والذي يرقد مكبلاً
بالأغلال ، مرتدياً ملابس البارون (ملقن) ، فوق الأريكة
الكبيرة في بهو القصر ، ثم التفت إلى (نور) ، وسأله في انبهار
واهتمام :

— ولكن كيف توصلت إلى ذلك يا (نور) ؟

استرخى (نور) في مقعده ، وابتسم في هدوء ، وهو
يقول :

— إننى لم أومن منذ البداية بفكرة الأشباح هذه .. فلقد كنت ولا أزال أرفض فكرة عودة شخص ما من عالم الموتى بإرادته ، إذ أن هذا يتنافى مع كل ما نؤمن به ، وكل ما جاء فى الكتب المقدسة ، ونظرية العالم الثانى الأبعاد أيضاً لم تقنعنى ؛ لأن هذا العالم لن يبدو أبداً متشققاً كسطح لوحة قديمة .. ثم إنه ليس من السهل أو الهين أن يفقد أحد مخلوقات عالمنا الثلاثى الأبعاد واحداً من أبعاده ، لينتقل إلى عالم وهمى ثنائى الأبعاد ، ولم يعد أمامى نظراً لرفض الفكرتين إلا تبنى فكرة القاتل البشرى ، الذى يحاول إيهامنا بكل ما يحدث من غموض .

صمت (نور) لحظة ، ثم عاد يستطرد فى هدوء :

— ولم يكدر رأبى يستقر على هذه النظرية البشرية ، حتى كان على أن أواجه الأسئلة التقليدية الثلاثة ، فى كل جريمة غامضة .. من ؟ .. وكيف ؟ .. ولماذا ؟ ..

وابتسم وهو يقول :

— وأعترف أن الأمر قد أثار خيبرى وارتباكى لفترة طويلة ، فكلما تركزت شبهاق على أحد الموجودين ، لقي مصرعه قتلاً ، حتى كدت أتراجع عن نظرتى ، وأميل إلى تصديق نظرية العالم الثانى الأبعاد .

وأشار بسبابته إلى (رمزى) ، وهو يتسم مردفاً :

— حتى قادتى (رمزى) إلى الحل .

اتسعت عينا (رمزى) ، وهو يهتف فى دهشة :

— أنا ؟ !

ضحك (نور) ، وهو يقول :

— نعم يا صديقى .. لقد قدتني إلى الحل دون أن تدري ،

حينما قلت فى طريق عودتنا إلى هنا : أنك كنت تظن الأمر مجرد مزحة .

تبادل أفراد الفريق نظرات الحيرة ، ثم غمغم (رمزى) :

— لست أجد رابطاً بين عبارتى ، وتوصلتك إلى أن (نادر)

وراء كل هذا ، على الرغم من أنه أول من لقي مصرعه ، حسبما ظننا على الأقل .

لوح (نور) بكفه ، وهو يقول :

— ربما ليس مباشرة ، ولكن العقل البشرى يعرف ما نطلق

عليه اسم (تداعى الأفكار) .. وهذا يعنى أن عبارة واحدة قد

تقود إلى تذكّر أخرى ، وتلك الأخرى تقود إلى مشهد أو حدث

أو عبارة ثانية ، وثالثة .. وهكذا تتداعى عدة أحداث دفعة

واحدة ، ويؤدى تجمعها إلى صنع صورة جديدة ، تؤدى إلى

الحل .. وفي حالتنا هذه قادتني عبارتك إلى استعادة عدة أشياء ..

أولاً : هوية الدكتور (صبرى) (رحمه الله) في المزاح ، وتدير المقالب ، والتي قادتني إلى حفته ..

ثانياً : قولك إنك لم تفحص جثة (نادر) ، وأن الدكتور (صبرى) هو الذى فحصها ..

ثالثاً : أن ضيوف (نادر) الثلاثة (صبرى) و (فكرى) و (درويش) كانوا أقرب المقربين لوالده ..

رابعاً : مصرع والد (نادر) منذ ثلاثين عاماً ، وقيد الحادث ضد مجهول ..

خامساً : آخر عبارة نطق بها (فكرى) قبل مصرعه ، والتي تتعلق باللوحة الملعونة ..

سادساً : الشحوب غير الطبيعى فى وجه (نادر) ..

سابعاً : إيمان الدكتور (صبرى) بأسطورة لعنة (السحاب الأحمر) بخلاف (فكرى) و (درويش) ..

ثامناً : دخوله إلى حجرة المكتب بمفرده ، فى أثناء تشاورنا ، على الرغم من ثقته — التى أوهمنا بها — فى وجود اللعنة .

هتف (رمزى) فى دهشة :

— كل هذا من عبارتى الصغيرة ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— بل أكثر من هذا يا صديقى .

ثم اعتدل مستطرداً فى اهتمام :

— وربط هذه النقاط بعضها ببعض اتضحت الصورة

واكتملت .. ولكى نفهم الأمر ونستوعبه ، علينا أن نعود إلى

ستين عاماً مضت .. إلى مصرع جدّ (نادر) ..

وتنهّد وكأنه مستعد لشرح أمر طويل ، قبل أن يشبك

أصابع كفيه ، ويواصل قائلاً :

— لقد كان جدّ (نادر) سادياً بالفعل ، حتى أنه أصرّ على

شراء لوحة مخيفة ، ووضعها فى مكتبه ، حتى يلدّ له رؤية علامات

الفرع فى وجوه زائريه .. ولقد أعجبت اللوحة صديقه اللورد

الإنجليزى ، وحاول أن يثير فزعها بشأنها ، حتى ينجح فى

الحصول عليها لنفسه ، ولكن الجدّ لم يتخلّ عن لوحته الأثيرة ،

وربما قتله اللورد نفسه ليحصل عليها ، ولكنه لم يجد الوقت الكافى

للفرار بها .. وورث والد (نادر) اللوحة ، ضمن ما ورث من

ممتلكات والده .. ولا ريب أنه كان يكنّ لوالده حباً بالغاً ،

ووفاءً عظيماً ، حتى أنه ظلّ يؤنّن ذكراه طيلة ثلاثين عاماً ..

وفي الذكرى الثلاثين لقي الوالد مصرعه ، وعجزت الشرطة عن إثبات التهمة ، أو العثور على القاتل ، ولم يكن أمامها إلا قيد الحادث ضد مجهول ، ولكن (نادر) لم يغفر لقاتل والده أبداً .. ولقد كان متأكدًا بوسيلة ما من أن القاتل هو أحد أصدقاء والده المقربين ، (صبرى) أو (فكرى) أو (درويش) ، ربما لأنهم الوحيدون الذين يمكنهم زيارة والده في مكتبه في ذلك الوقت المتأخر ، الذى حدثت فيه الجريمة .. ولقد حاول (نادر) أن يعثر على القاتل بين هؤلاء الثلاثة ، ولكنه فشل ، فقرر بعد ثلاثين عامًا ، التخلص منهم جميعًا ..

ساد الصمت لحظة ، ازدرد (نور) خلالها لعابه ، ثم عاد

يقول فى هدوء :

— وبدأ (نادر) يخطط للانتقامه فى صبر وذكاء وإحكام ، فقد كان عليه أن ينتقم من قاتل والده ، فى شخص هؤلاء المساكين الثلاثة ، دون أن تتطرق الشبهة إليه ، ودون أن يضطر لمواجهة تحريات الشرطة .. بل إنه إحكامًا للخطة ، قرر أن ينهى حياته كـ (نادر) ، ليبدأها بعد تنفيذ انتقامه باسم جديد ، وشخصية بعيدة عن الشبهات .. وواتته الفكرة حينما قرأ مقالًا عن لعنة لوحة (السحاب الأحمر) المفقودة ، وتذكر

اللوحة الخفيفة فى مكتب والده ، وجدّه ، وقدّر أن أحدًا لن يذكر ما إذا كانت هى نفسها (السحاب الأحمر) أم لا .. وبسرعة أعدّ خطته الشيطانية المحكمة ، واختار رسامًا إيطاليًا بارعًا ، وطلب منه أن يرسم له نسخة من لوحة (السحاب الأحمر) ، ثم طلب منه صنع عدة نسخ من اللوحة نفسها ، بحيث تختفى صورة البارون (ملقن) من إحداها ، وتضاف إلى الأخرى رأس (نادر) نفسه ، وإلى الثالثة رأس (صبرى) .. وهكذا .. وبعد أن حصل على هذه المجموعة من اللوحات ، أخذ يعرضها لدرجات حرارة مرتفعة ولمعاملات كيميائية خاصة ، حتى تبدو وكأنها مرسومة منذ قرون ، وهذا أسلوب مألوف ، يستخدمه مزوّر اللوحات الفنية النادرة منذ أكثر من قرن*) وبعد أن أعدّ عدته ، وابتاع ثيابًا تشبه ثياب البارون (ملقن) ، من أحد محال أزياء المهرجانات ، وصنع ذلك القناع المطاطى الشبيه بوجهه ، وتدرّب على استخدام ذلك السيف الرفيع فى مهارة ، عاد إلى مصر ، وذهب على الفور إلى الدكتور (صبرى) صديق والده القديم ، والمعروف بشغفه الشديد بالمزاح

(*) حقيقة .

والدعابات الثقيلة ، وشرح له الأمر على أنه مزحة أعدها لأصدقائه ، وأقنعه بقبول مشاركته فيها .. ولا ريب أن الطيب الكهل قد شعر بالسعادة ؛ لاستعادته ذلك المرح الذي اشتهر به في شبابه ، دون أن يعلم أنه سيذهب ضحية ذلك .. وبعد أن اطمأن (نادر) إلى مشاركة الطيب ، استنزف بعضاً من دمه ، واحتفظ به في براد خاص ، وهذا هو سرّ شحوبه غير الطبيعي ، حينما أتى إلى ؛ لأنه كان قد استنزف دمه لتوه ، حتى يبدو طازجاً ، حينما نجده على اللوحة الزائفة في المساء .

صمت (نور) لحظة أخرى ، وكأنما أرهقه الحديث على هذا النحو المتصل ، فهتفت به (سلوى) في فضول وهفة :
— ولماذا لم يرتكب جريمته في سكون ، دون أن يشركنا في الأمر ؟
ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— كانت هذه خطوة شديدة البراعة والجراحة منه يا عزيزتي .. فلقد أراد أن يحصل على شهادة من خبير في حلّ الألغاز الغامضة ، بأنه غير مسئول عن مصرع الثلاثة ، وبأنه نفسه قد لقي مصرعه .. ومن الواضح أنه كان يثق في ذكائه وبراعته كثيراً ، وإلا فما لجأ إلى هذه الخطوة ، التي تزيد الأمور تعقيداً ، والتي كانت السبب في هزيمته .

وتنهّد (نور) ، قبل أن يواصل قائلاً :

— المهم أنه نجح في إقناعي بالقدوم إلى هنا ، وجعلنا نرى لوحة (السحاب الأحمر) ، وأقنعنا بأنها اللوحة التي كان يحتفظ بها جده ، واستعدّ للحظة التي يخدعنا فيها جميعاً .. ولقد بدأت الخدعة حينما قفز من مقعده ، ونجح في تمثيل دور الرجل الذي نجا من الموت بأعجوبة ، وابتعد عنا إلى حيث الساعة الكبيرة ، حتى لا يصل إليه أحدنا ، حينما يعمل جهاز فصل التيار الكهربائي ، المبرمج للعمل في وقت محدد مسبقاً .. وعندما قطع الضوء ، وخذعتنا أجهزة البث الصوتي الدقيقة التي دسّها في مكان خفيّ بالبهو ، حينما أرسلت صوت أقدام الشبح البطيئة الثقيلة ، صرخ هو في رعب ، وأسرع يختفي في حجرتة ، التي تتصل عبر نفق سرّيّ بمدخل خفيّ آخر ، غير ذلك الذي حاول فيه قتل (سلوى) ، في حجرة المكتب .. وهذا النفق السرّي الثاني يبدأ مدخله بذلك الحائط الذي ثبت فوقه لوحة (السحاب الأحمر) .. وحينما عادت الأضواء ، وأصابنا الارتباك للاختفائه ، كان هو قد أبدل اللوحة بأخرى لا تحوى صورة البارون (ملفن) ، وسكب فوقها ذلك الدم الذي يحتفظ به من دمه ، ثم أسرع إلى حجرتة ، ينتظر الدكتور

(صبرى) ، الذى بدأ يحرك الأحداث بأداء تمثيلي رائع ، وهو
يضحك عن حيرتنا من أعماق قلبه ، ويتنظر تلك اللحظة
المرحة ، التى يكشف لنا فيها الأمر .. وإمعانا فى الخداع ،
تظاهر بفحص جسد (نادر) ، وأعلن مصرعه .. ولما كنا
لا نشك — حينذاك — فى نزاهته ، فقد صدقنا قوله ، ولم
نحاول فحص الجثة الزائفة بدورنا .. وبعد أن غادرنا الحجرة ،
أسرع (نادر) يرتدى ثوب البارون ، ويضع على وجهه قناعه
المطاطى الرقيق ، استعدادا لتنفيذ الخطوة الثانية من خطته .

ساد الصمت لحظة أخرى ، قبل أن يتابع (نور) :

— وبدأ الدكتور (صبرى) يبذل أقصى جهده لإقناعنا
بالأمر ، فأيد قصة (نادر) عن اللوحة ، وأوعز إلينا باختفاء
جثة (نادر) ، الذى أخذ يبذل اللوحات على نحو أصابنا
بالارتباك والحيرة .. ولقد لاحظ (فكرى) أن اللوحة الموجودة
فى المكتب ، ليست هى اللوحة نفسها ، التى كان يحتفظ بها
والد (نادر) و (جدّه) .. ونظرا لمعرفة السابقة بدعابات
(صبرى) ، فهم الأمر فى الحال ، ولكنه لم يلبث أن أصيب
بالرعب ، حينما أعلنت أنا اختفاء جثة (نادر) .. ولقد حاول
أن ينذر الدكتور (صبرى) للتوقف عن مواصلة هذه المزحة

الثقيلة ، وهذا ما جعل (صبرى) يدخل إلى حجرة المكتب ،
فى محاولة لإقناع (نادر) بالتوقف عن اللعبة ، ولكنه لم يكن
يتوقع أن (نادر) قد قرّر التخلص منه أيضا ، حتى يزيحه عن
الطريق ، ويضمن استمرار الخطّة بنجاح .. ولقد فهم
(فكرى) الموقف ، وعرف أن (نادر) ينوى قتله ؛ ولذا أخذ
يردد فى رعب أن دوره آت ، وحينما داهمته تلك الأزمة القلبية ،
أراد أن ينيها إلى أن اللوحة الموجودة فى المكتب ليست حقيقية ..
ولكن (نادر) أسرع يطفى الأنوار ، ويبعث أصوات الأقدام
الثقيلة ، وهو يعلم أن قلب (فكرى) الضعيف لن يتحمل ..
ولقد انهار قلب (فكرى) بالفعل ، ولم يتحمل خوفه من
القتل ، فلقى مصرعه .. وحقق (نادر) انتصاره الثانى ..
ومطأ شفتيه فى أسف ، ثم عاد يستطرد فى هدوء :

— وحينما غادرت أنا القصر ، وبقي (محمود)
و (سلوى) و (درويش) وحدهم ، تحدّث (درويش) عن
الممرّات السريّة ، وبدأ الثلاثة يبحثون عن الممرّات الموجودة فى
حجرة المكتب .. وخشى (نادر) أن تفتضح خطّته ، بعد أن
شارفت على الفوز ، فأسرع يطفى الأنوار ، وتسلسل عبّر المخرج
السريّ الآخر ، الموجود خلف الحائط الذى علّق فوقه اللوحة ،

التفت الجميع إلى مصدر الصوت في دهشة ، وتضاعفت
دهشتهم حينما رأوا (نادر) واقفاً ، وقد تحرر من أغلاله ،
واستعاد سيفه ، وأخذ يحدجهم بتلك النظرة التي تفيض
بالوحشية والبغض ..
نظرة قاتل !!



والذي يخفى فيه جثث ضحاياه ، وبَدَل باللوحة الأخرى الخالية
من صورة البارون (ملقن) ، ثم هاجم الثلاثة ، واستغل عامل
المفاجأة ، والخوف الذي أحدثه ظهوره في نفوسهم ، وطعن
(درويش) طعنة قاتلة ، وحاول أن يقتل (محمود) ، ولكنه لم
ينجح إلا في طعن ذراعه .. وحينما رأى (سلوى) تختفي في المر
السري ، لم يحاول مطاردتها على الفور ، مطمئناً إلى أنها ستجد
أمامها طريقاً مسدوداً في النهاية .. واهتمَّ أولاً بنقل جثتي
(فكرى) و (درويش) إلى انجبا السري الآخر ، وأبدل
اللوحة بتلك التي تحمل الرؤوس الأربعة .. ثم بدأ يطارد
(سلوى) ، وهو ينوي التخلُّص منها ، ثم مغادرة المكان ،
ويترك لنا لغزاً نحار في تفسيره على حين يكون هو في طريقه إلى
(إيطاليا) ، لبدأ هناك حياته الجديدة ، بعد أن حقق
انتقامه .

لم يكذب (نور) يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت غاضب
يقول :

— أنت عبقرى أيها الرائد .. إنك لم تجاوز الحقيقة بجزء ولو
ضئيل من الأحداث .

١٢ - المواجهة الأخيرة ..

حدّق أفراد الفريق في وجه (نادر) في دهشة ، فيما عدّوا
(نور) ، الذي عقد حاجبيه وهو يقول في برود :
- كيف تخلّصت من قيودك ؟

ضحك (نادر) في مزيج من السخرية والشراسة ، وهو
يقول :

- قيودك البلهاء هذه لا تعوقني .. لقد أذبت قفلها بشعاع
ليزر صغير من خاتمي .

نهض (نور) يواجهه في هدوء ، وهو يقول :
- إن كنت تظن أنك ستجوب بعد كل ما فعلت ، فأنت
واهم .. لقد خسرت معركتك ، ولا مفرّ أمامك من
الاستسلام .

أطلق (نادر) ضحكة ساخرة ، وقال :
- خسرت معركتي؟! .. أنت مخطئٌ أيها الرائد .. لقد
حققت ما كنت أسعى إليه ، وانتقمت من قتلة والدي ، وهذا
يكفيني .

التقى حاجبا (نور) في صرامة ، وهو يقول :
- لقد سفكت دماء بريئين في سبيل انتقامك الأعمى
هذا ، وأنت تعلم أن واحداً فقط من هؤلاء الثلاثة هو قاتل
والدك ، وكان يمكنك اللجوء إلى القانون بدلاً من ذلك .

صاح (نادر) في غضب :

- القانون؟! .. لقد عجز القانون عن الانتقام لي .

أجابته (نور) في جدّة :

- ولماذا لم تطلب معاونتي؟! .. ألم يكن هذا أكثر جدوى
من انتقامك ؟

أطلت الكراهية من عيني (نادر) ، وهو يقول :

- لقد أصابك الغرور أيها الرائد .. صحيح أنك أثبتت

عبقرية فذة ، حينما كشفت لُعبتي ، على الرغم من إتقانها
الشديد ، ولكن كيف يمكنك حلّ لغز قضية مرّ عليها ثلاثون
عاماً ؟

هتف (نور) في حنق :

- ولكنني فعلت أيها الأحمق .. لقد كشفت شخصية قاتل
والدك .

اتسعت عينا (نادر) في ذهول ، وشاركه أفراد الفريق
دهشته ، إلا أنه سبقهم بالقول :

— كشفت شخصية قاتل والدي !!.. كيف ؟

لَوْح (نور) بذراعه في ضيق ، وهو يقول :

— لو أنك استخدمت نصف الذكاء ، الذي ارتكبت به
جريمته النكراء ، لأمكنك التوصل إليه في سهولة ، كما فعلت
أنا .

وتقدّم إلى الأمام في بطاء ، وهو يستطرد :

— كان يكفي أن تعلم حقيقة واحدة ، وهي أن مسرح
الجريمة قلّما ينمحي من ذاكرة القاتل ؛ لأنه يكون في لحظة القتل
حادّ الحواس إلى درجة تفوق طبيعته .. وصحيح أن المجرم يعود
دائماً إلى مسرح الجريمة ، ولكنه يفعل ذلك بنوع من تأنيب
الضمير ، ولا يفارقه الاضطراب حتى يغادره .. وهذا يعني أن
القاتل ليس الدكتور (صبرى) ، الذي عاد إلى هنا ليسترجع
هوايته في العبث والمزاح والمداعبات ، وليس (درويش) الذي
لم يلاحظ اختلاف اللوحة المعلقة في الحجرة التي حدثت فيها
الجريمة .. إن القاتل هو الرجل الذي أثقنَ جريمته حتى بدأ أكثر
كهولة من عمره ، والذي ناء قلبه بحمل ضميره المعذب ، حتى

لم يعد يحتمل الإثارة والخوف .. إنه الرجل الذي ظلّ مضطرباً
متبرّماً طيلة وجوده بالقرب من مسرح جريمته .

اتسعت عينا (نادر) ، وهو يغمغم :

— (فكري) ؟!

صاح (نور) وهو يواصل تقدّمه في بطاء وحذر :

— نعم أيها الغبي .. (فكري) هو قاتل والدك ، وهو
الوحيد الذي لم يغص سيفك في قلبه ، الذي انهار من أثقاله ،
وتوقّف بإرادته .

عاد (نادر) يغمغم في ذهول :

— يا إلهي !!.. (فكري) ؟!

وفجأة .. انقضّ (نور) على (نادر) ، وحاول أن
يمسك معصمه ، ليتفادى سيفه الحادّ ، إلا أن (نادر) نفذ
ذهوله في سرعة ، وقفز إلى الوراء ، ثم طوّح بسيفه نحو رقبة
(نور) ، الذي غاص بجسده إلى أسفل ، وتفادى النصل
اللامع ، وعاد ينقضّ على (نادر) ..

وتفادى (نادر) انقضاضة (نور) في براعة ، وقفز نحو
حجرة المكتب ، وهو يلوّح بسيفه ، ويهتف في غضب :

— لا تحاول أيها الرائد .. لن يضيرني ارتكاب جريمة قتل

رابعة .



فأسرع (نادر) ينتزع لوحة (السحاب الأحمر) ، ويقذف
بها (نور) ، الذي تلقاها على ساعده ..

أجابه (نور) في صرامة :

— ليس قبل أن تدفع ثمن الجرائم الثلاثة الأخرى أيها الوغد .
لوح (نادر) بسيفه في وحشية ، ثم اندفع نحو حجرة
المكتب ، واندفع خلفه (نور) ، فأسرع (نادر) ينتزع لوحة
(السحاب الأحمر) ، ويقذف بها (نور) ، الذي تلقاها على
ساعده ، ودفعها بعيداً عنه ، لتسقط على ظهرها إلى جوار نافذة
الحجرة ، التي اقترب منها (نادر) ، وهو يلوح بسيفه
صائحاً :

— ابتعد أيها الرائد .. إنك لن توقفني .. لن توقفني بعد أن
وصلت إلى كل هذا .

أجابه (نور) في صرامة :

— لن تجد مكاناً تذهب إليه .. سيطاردك كل شرطى في
مصر كلها .

امتلات ملامح (نادر) بالغضب ، وصاح في جنون :

— إليك عنى .

وقفز نحو النافذة ، محاولاً اختراق زجاجها ، والفرار إلى
الخارج ..

وفجأة .. حدث أمر لم يضعه (نادر) في حسبانته ، وهو
يعدُّ حُطَّته المُخَكِّمة ..

١٣ - الختام ..

تسلَّل بعض من أشعة الشمس عبْر فجوة صغيرة بين الغيوم ، التي بدأت تنقشع في بطاء ، بعد أن تحوَّل المطر المنهمر منها إلى رذاذ خفيف ، وسقطت خيوط الأشعة الذهبية فوق القصر القديم ، الذي بدا مكتظًا بالحركة ، ورجال الإسعاف ينقلون جثث ضحايا شهوة الانتقام الأربعة إلى اهليوكوتر الطيبة الخاصة .. في حين وقف (نور) يراقب الموقف في أسف ، وحوله (سلوى) و (رمزي) و (محمود) ، وغمغمت (سلوى) في ألم :

— يا لهم من مساكين !! لقد أمهلهم القدر ثلاثين عامًا ، ثم سلب أرواحهم بلا رحمة .

مطَّ (نور) شفثيه ، وقال :

— دَعِينَا لَا نَلْقَى اللُّومَ عَلَى القَدْرِ ، كلما ارتكب شخص ما خطيئة .

أومات برأسها في سكون ، في حين غمغم (رمزي) :

لقد ارتطمت قدمه بحاجز النافذة السفلى ، واصطدم سيفه بحاجزها الجانبي ، وسقط السيف في نفس اللحظة التي تعثَّر فيها (نادر) ، كما لو أن يدا خفيَّة قد جذبتَه إلى الوراء .. ولم يدرك (نور) كيف حدث هذا؟! .. ولكن المشهد انتهى بنصل السيف وهو يُغوص في قلب (نادر) ، وينفذ من ظهره ، كما لو أنه تلقَّى طعنة مُحكمة من مبارز بارع ، وجحظت عيناه ، وامتلاتا بمزيج من الرُّعب والألم ، ثم خبا بريقهما ، ولفظ أنفاسه فوق لوحة (السَّحاب الأحمر) ، التي اصطبغت بدمائه ، وهي ترقد ساكنة .. وُحِّل لـ (نور) في جزء من الثانية ، أن ابتسامة ارتياح قد ارتسمت على وجهي (صبرى) و (درويش) ، المرسومين وسط اللوحة ، قبل أن تغطيهما الدماء ، وتمحوهما من أمام عينه .

— ولكن القدر تدخل بالفعل يا (نور) ، ليلقى (نادر)
جزاءه من جنس عمله .

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب في صوت مرتجف :

— لست أدري كيف يمكنني تفسير ما حدث لـ (نادر)
يا (رمزي) ، ولكنني شعرت بتيار بارد مخيف ، قبل أن يسقط
(نادر) فوق سيفه .

هتف (محمود) في دهشة :

— (نور) .. هل ستخلى عن رفضك لفكرة
الأشباح .

هز (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

— كلاً بالطبع يا (محمود) .. ولكنني حينما أستعيد ذلك
المشهد الأخير ، أعجب كيف لم يسقط (نادر) إلى خارج
النافذة ، حينما ارتطمت قدمه بحاجزها السفلي ، تبعًا لنظرية
القصور الذاتي ؟ .. وكيف سقط داخل الحجرة على هذا النحو
العجيب ؟ .. وكيف تأتى لسيفه أن يسقط ومقبضه إلى أسفل ،
بحيث يخترق قلبه مباشرة على هذا النحو ؟

غمغمت (سلوى) :

— لقد انتقلت أرواح ضحاياه .

هز (نور) كتفيه ، وابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

— لن أناقش عبارتك هذه يا (سلوى) ، ولكن ذلك
لا يعني أنني أومن بها .

ثم أشار إلى السماء ، وهو يستطرد :

— لقد انقشعت الغيوم تقريبًا .. ما رأيكم لو بقينا حتى يتم
إصلاح سيارتي ؟ و

هتفت (سلوى) :

— لا يا (نور) .. لن أحتمل البقاء هنا لحظة أخرى ..
سأذهب إلى مدينة (الفيوم) ، ولو فعلت ذلك سيرًا على
الأقدام .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— دَعُونَا نحاول دراسة هذا الاقتراح .. إن سرعة سير
الإنسان العادي ستة كيلومترات في الساعة ، وهذا يعني أننا
سنحتاج إلى ساعتين إلاثلث الساعة لقطع الكيلومترات
العشرة ، التي تفصلنا عن مدينة الفيوم .

هز (رمزي) كتفيه ، وقال :

— إنني أحتاج إلى بعض التزهة .

وضحك (محمود) ، وهو يقول :

— سيكون من الطريف أن نسير قليلاً .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— الموافقة إذن بالإجماع .. هيّا بنا .

وبدأ الفريق سيره ، في نفس الوقت الذي ارتفعت فيه
اهليوكوتر الطيبة ، وغمرت أشعة الشمس الدافئة المكان ،
وأُسدِلَ الستار على أسطورة (السحاب الأحمر) ..

بأسفل

www.dvd4arab.com

[تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ]

رقم الإيداع ٣٢١٥
